الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

تصنيف

الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦هـ

رحمه الله

حققه وعلق عليه

عابد بن محمد الأثري

عفا الله عنه

الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

تصنيف

الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦هـ

رحمه الله

حققه وعلق عليه

عابد بن محمد الأثري

عفا الله عنه

الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء ١].

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١].

أما بعـــــــــد:

فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلاله في النار.

وبعد؛

لا شك أن الدعوة إلى الله تعالى من أفضل الأعمال وأحسنها عند الله تبارك وتعالى إذ يقول جل شأنه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾

وما أرسل الله الرسل إلا لدعوة الناس إلى عبادة ربهم على التوحيد الخالص له

سبحانه واجتناب الشرك وما يؤدي إليه؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

فبين سبحانه أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لعبادته وحده؛ وإقامة العدل بالحق بين الناس وليوضح للناس ما اختلفوا فيه من الشرائع والعقائد، من توحيد الله وتطبيق شرعه.

وقد خص الله ﷻ طائفة من الناس يقومون على الدعوة إليه على المنهج الصحيح الذي أراده الله تعالى وارتضاه لعباده فعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[(١)]

وعُلم يقينًا أن هذه الطائفة من أمة النبي ﷺ هم من على منهاج النبوة، فعملوا بالسنة ولزموا جماعة المسلمين، وساروا على نهج السلف الصالح، فسميت لهذا بالدعوة السلفية وأن هذه الطائفة (أهل السنة والجماعة) لا يحصرهم زمان ولا مكان، لكنهم قد يكثرون في زمان ويقلون في آخر، وكذلك قد يكثرون في مكان ويقلون في مكان آخر.

وقد كان السلف الصالح أحرص الناس على نشر العقيدة الصحيحة والدين القويم، وتعليم الناس ونصحهم، والرد على المخالفين والمبتدعين؛ لأنهم اتفقوا على العقيدة وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان. ولأنهم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٩٢٠).

وأفعاله وأقواله، وأشدهم حبًا للسنة وأصوبهم فهما لنصوصها، وأحرصهم على اتباعها وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «مَتَى كَانَ الرَّسُولُ أَكْمَلَ الْخَلْقِ وَأَعْلَمَهُمْ بِالْحَقَائِقِ وَأَقْوَمَهُمْ قَوْلًا وَحَالًا: لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِذَلِكَ وَأَنْ يَكُونَ أَعْظَمُهُمْ مُوَافَقَةً لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ أَفْضَلَ الْخَلْقِ»(١).

ولا شك أن أعلم الخلق برسول الله ﷺ وأعظمهم موافقة له هم أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ثم الذين يلونهم من التابعين الذين أخذوا العلم عن أصحابه وكذلك من تبعهم وسار على نهجهم من السلف الصالح الذين عملوا بالكتاب وتمسكوا بالسنة.

إذن السلف هم أهل السنة الذين عناهم النبي ﷺ في أحاديثه، وأهل السنة هم السلف الصالح ومن سار على نهجهم، وكل طوائف المبتدعة من أهل الأهواء؛ كالقدرية والخوارج والجهمية والمرجئة والشيعة وغيرهم من أهل البدع؛ خارجون عن معنى أهل السنة أتباع السلف الصالح الذين أمر النبي ﷺ بلزوم جماعتهم فقال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ»(٢) وهم الطائفة التي بشرها النبي ﷺ بالنجاة؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٤١).
(٢) أخرجه أحمد (٢٣١٤٥).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤١).

وطريقة السلف الصالح هي الأسلم والأعلم والأحكم لا كما يدعيه أهل الكلام أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وقد ضمن هنا علم الخلف الصالح أهمية كتب السلف، ولكن لا شك أن هذه الطائفة التي طالما لم تنعم بانتشار كتب أعلامها، فتارة كان السبب في هذا أعداء دين الله المارقين كالرافضة وغيرهم، وتارة بعض المتمسكين بكتب المتأخرين القائلين بأنها تغني عما سواها من كتب المتقدمين، فحبسوا هذه الكتب حتى يسر الله ﷻ، خروج جيل من المحققين السلفيين الذين تمكنوا من خدمة هذه الكتب النفيسة.

وخدمتها قد تكون بإخراجها من حيز المخطوطات، والاعتناء بتحقيقها ونشرها بين الناس سالمة من الأخطاء، مدعمة بتوثيق نصوصها.

وقد يكون خدمتها وإن كانت مطبوعة بإعادة تحقيقها على أصولها، وتطهيرها من تعليقات المبتدعة التي تكون قد شابتها ودنست صفوها، ومحقت بركتها، وذلك كرسالتنا هذه؛ فإنه قد نشرها الكوثري ودنسها بتعليقات مليئة بالباطل والخذلان والحط على حملة الحديث النبوي والدعاة للمعتقد الصحيح.

والكوثري: هو محمد بن زاهد الكوثري الحنفي، هو جهمي هالك ذرب اللسان في جرح علماء الأزمان فلم يسلم من لسانه إلا كل جهمي ضال العقيدة حنفي متعصب المذهب، وطعن في نسب مالك والشافعي، ويرى أن الإيمان هو المعرفة، ويعرض بالبخاري فيقول: (بعض من يسمونه أمير المؤمنين في الحديث يتبجح قائلاً: «لم أخرج في كتابي إلا عمن يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»)!! ويقول: ابن أبي حاتم: سرَّاق، وعبد الله بن أحمد بن حنبل: بُلي بالكذب، والدارقطني: أعمى ضال المعتقد، والحاكم: شيعي مختلط، إلى غير ذلك من بذاءة اللسان وقبيح القول، هذا غير كلامه في ابن خزيمة والدارمي وابن المديني وأبو زرعة، بل وقع حتى في صحابة رسول الله ﷺ،

وقد رمى أنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ بالخرف لأنه روى حديثًا يخالف مذهب أبي حنيفة ﵀، وهذا بخلاف طعنه على المتأخرين كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والذهبي، وأضرابهم، حتى وصل طعنُهُ القبيحُ إلى خاتمة الحفاظ، وهو الحافظ ابن حجر العسقلاني.

وقد قال فيه الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني: «إن هذا الرجل لا يخشى الله، فإنه يتبع هواه انتصارًا لمذهبه، فيبرم أمرًا أو قاعدة من عند نفسه لينقضها في مكان آخر متجاوبًا مع مذهبه سلبًا أو إيجابًا. وفي ذلك من التضليل وقلب الحقائق ما لا يخفى ضرره على أهل العلم. نسأل الله العصمة من الهوى».

وقال شيخنا أبو إسحاق الحويني حفظه الله: «شيخ الجهمية وإمام متعصبة الحنفية في العصر الحديث»[(١)].

وقال عنه الشيخ ابن باز: «المجرم الأثيم».

وقد رد عليه علامة عصره وذهبي قرنه الشيخ يحي المعلمي ﵀ في كتابه «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، قال الشيخ أبو إسحاق الحويني حفظه الله: «وكل منصف يعلم أن الشيخ المعلمي بعلمه وأدبه ونبله قد نكل الكوثري فعلًا، وألقمه جبلًا ولا أقول حجرًا، وذبَّ عن أعراض علماء المسلمين ممن ولغ الكوثري في سيرتهم بغير حقٍّ». وقد رد عليه أستاذنا وعالمنا المبجل محدث العصر فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني في مقدمة كتابه: «جنة المرتاب»، وللعبد الفقير رسالة بعنوان: «الصواعق الأثرية على الحماقات الكوثرية» يسر الله إتمامها.

---

(١) إقامة الدلائل على عموم المسائل (١/ ١٧٧).

ومن هنا توجهنا لتحقيق هذا الكتاب وتطهيره من أدناس هذا المجرم الخبيث، وعملي في الكتاب كالتالي:

١- قمت بجمع الكتب المطبوعة، ومعها المخطوطة المصورة على النسخة التي نشرها الدكتور علي النشار، وعمار الطالبي ضمن «عقائد السلف» سنة (١٣٩٠)، لتفادي التحريف والسقط، وقد شاب المطبوع سقط وتحريف بيَّناه وأشرنا إليه.

٢- علقت على بعض المسائل، وشرحت بعضها مستفيدًا من كلام أهل العلم ولعل الله أن ييسر لي في المستقبل شرح الكتاب شرحًا وفيًا.

٣- أبنت عن غريب ألفاظه؛ إذ مؤلفه من أئمة اللغة؛ فقد يـجهل القارئ معنى بعض الكلمات التي يسوغها.

٤- خرجت الأحاديث النبوية المذكورة في الكتاب والعزو إلى بعض مصادرها من كتب السنة:

أـ وما كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، أو إلى أحدهما اختصارا بذكر رقم الحديث.

ب ـ وما كان في غير الصحيحين عزوته إلى بعض مصادره دون الإكثار حتى لا تطول الحاشية.

٥- خرجت كافة الآثار الموجودة بالكتاب، وبينت حكمها من حيث الصحة والضعف على حسب ما جاء في قواعد هذا العلم، وما جاء عن أئمة هذا الفن.

٦- عزوت النقولات التي ذكرها الإمام ابن قتيبة في الكتاب إلى مصادرها من كتب السنة أو كتب الفقه أو غيرها.

٧- ترجمت للمصنف ﵀ بترجمة وجيزة ليتعرف القارئ على هذا الإمام الكبير وجهوده الطيبة ومصنفاته الجمة العظيمة.

هذا...

وما كان في هذا العمل من صواب فمن توفيق الله تعالى وحده، وما كان من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان، أسأله سبحانه وتعالى العفو والغفران، فإنه سبحانه المستعان وعليه وحده الاعتماد والتكلان.

وصلِّ اللَّهُمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب:

عَابِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَثَرِيّ

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه:

أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف.

نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته.

بعض مشايخه:

حدث عن: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد بن عبيد الله الزيادي، وزياد بن يحي الحساني، وأبي حاتم السجستاني، وطائفة.

بعض تلامذته:

حدث عنه: ابنه القاضي؛ أحمد بن عبد الله، بديار مصر، وعبيد الله السكري، وعبيد الله بن أحمد بن بكر، وعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، وغيرهم.

ذكر تصانيفه:

«**غريب القرآن**»، كتاب «**غريب الحديث**»، كتاب «**المعارف**»، كتاب «**مشكل القرآن**»، كتاب «**مشكل الحديث**»، كتاب «**أدب الكاتب**»، كتاب «**عيون الأخبار**»، كتاب «**طبقات الشعراء**»، كتاب «**إصلاح الغلط**»، كتاب «**الفرس**»، كتاب «**الهجو**»، كتاب «**المسائل**»، كتاب «**أعلام النبوة**»، كتاب «**الميسر**»، كتاب «**الإبل**»، كتاب «**الوحش**»،

كتاب «**الرؤيا**»، كتاب «**الفقه**»، كتاب «**معاني الشعر**»، كتاب «**جامع النحو**»، كتاب «**الصيام**»، كتاب «**أدب القاضي**»، كتاب «**الرد على من يقول بخلق القرآن**»، كتاب «**إعراب القرآن**»، كتاب «**القراءات**»، كتاب «**الأنواء**»،

كتاب «**التسوية بين العرب والعجم**»، كتاب «**الأشربة**».

بعض أعماله وعلومه:

وقد ولي قضاء الدينور، وكان رأسًا في علم اللسان العربي، والأخبار، وأيام الناس.

بعض ما اتهم به ودفع الذهبي عنه بالحق:

قال مسعود السجزي: سمعت أبا عبد الله الحاكم يقول: أجمعت الأمة على أن القتبي كذاب.

قلت: هذه مجازفة وقلة ورِع، فما علمت أحدًا اتهمه بالكذب قبل هذه القولة، بل قال الخطيب: إنه ثقة. وقد أنبأني أحمد بن سلامة، عن حماد الحراني أنه سمع السلفي ينكر على الحاكم في قوله: لا تجوز الرواية عن ابن قتيبة.

ويقول: ابن قتيبة من الثقات، وأهل السنة.

ثم قال: لكن الحاكم قصده لأجل المذهب.

قلت: عهدي بالحاكم يميل إلى الكرامية، ثم ما رأيت لأبي محمد في كتاب «**مشكل الحديث**» ما يخالف طريقة المثبِتة والحنابلة، ومن أن أخبار الصفات تمر ولا تتأول، فالله أعلم.

وكان ابنه؛ أحمد من حفظته، فحفظ مصنفات أبيه، وحدَّث بها بمصر لما ولي

قضاءها من حفظه، واجتمع لسماعها الخلق سنة نيف وعشرين وثلاث مائة، وكان يقول: إن والده أبا محمد لقنه إياها.

وما أحسن قول نعيم بن حماد، الذي سمعناه بأصح إسناد عن محمد بن إسماعيل الترمذي، أنه سمعه يقول: من شبه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه، فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهًا.

قلت: أراد أن الصفات تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، في ذاته المقدسة، فكذلك صفاته لا مثل لها، إذ لا فرق بين القول في الذات والقول في الصفات، وهذا هو مذهب السلف.

عقيدته:

تظهر عقيدة المصنف ﵀ جلية في هذا الكتاب في القرآن والصفات والإيمان والقدر، ومعلوم إدراك شيخ الإسلام بالعلماء، ومعرفته بعقائدهم، فمن أجل هذا رغبنا في نقل قوله في التعريف بابن قتيبة، قال شيخ الإسلام ﵀: «وابن قتيبة: هو من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفاتٌ متعددةٌ. **قال فيه صاحب كتاب «التحديث بمناقب أهل الحديث»**: وهو أحد أعلام الأئمة، والعلماء، والفضلاء، أجودهم تصنيفًا، وأحسنهم ترصيفًا، له زهاء ثلاثمائة مصنف، وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق، وكان معاصرًا لإبراهيم الحربي، ومحمد بن نصر المروزي، وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة. ويقولون: كل بيت ليس فيه شيءٌ من تصنيفه فلا خير فيه، قلت: ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السُّنَّة، كما أنَّ الجاحظ خطيب

المعتزلة»[١].

وفاته:

قال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي: مات أبو محمد بن قتيبة فُجاءةً، صاح صيحة سمعت من بعد، ثم أغمي عليه، وكان أكل هريسة، فأصاب حرارة، فبقي إلى الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ فما زال يتشهد إلى السحر، ومات -سامحه الله- وذلك في شهر رجب، سنة ست وسبعين ومائتين.

كانت هذه ترجمة المصنف ﷺ من «سير أعلام النبلاء» (١٣/٢٩٦) للإمام الذهبي[٢]، فما وجدتم من نقص أو عيب في نصه فهو مني، وما وجدتم فيه من إتمام فهو من توفيقه ﷻ، وآسف على الإطالة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/٣٩١-٣٩٢).

(٢) باستثناء الكلام عن عقيدته ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة:

الحمد لله مرتضي الحمد لنفسه، وجاعله فاتحة وحيه، ومنتهى شكره، وكفاءة نعمته، ودعوى أهل جنته عند إفضائهم إلى كرامته[١]، البر بخلقه، العواد على المذنبين بعفوه، الذي لا يخيب راجيه، ولا يرد داعيه، ولا ينسى ذاكريه، ولا يقطع حبل عصمته ممن تمسك بعروته.

أحمده بجميع محامده على جميع نعمه، أسأله أن يشعرنا خشيته، ويشرب قلوبنا مراقبته عند كل لفظ وعقد وكل قبض وبسط، وأن يجعل كلامنا له ودلالتنا عليه وإرشادنا إليه، ويؤم بنا سمت الحق وقصد السبيل، وأن يبلغ نبينا المصطفى ﷺ منا أفضل صلاة وأنماها وأزكاها وأقضاها لما فرض من حقه وأوجب من ذكره، صلى الله وملائكته المقربون عليه وعلى آله الطيبين وعلى جميع النبيين والمرسلين.

ونعوذ بالله من نزغ الشيطان ومصائده ولطيف خدعه ومكائده، فقد صدق على هذه الأمة ظنه، وأجلب عليهم بخيله ورجله، وقعد لهم رصدًا بكل مرصد، ونصب لهم شركًا بكل ريع، وطفق لغوايتهم بكل شبهة، فأصبح الناس إلا قليلًا ممن عصم

---

(١) يقصد المصنف رحمه الله ما جاء في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾.

الله مفتونين، وفيما يوبقهم خائفين، وعن سبيل نجاتهم ناكبين، ولما وضعه الله عنهم متكلفين، وعما كلفهم معرضين، إن دعوا أنفوا، وإن وعظوا هزأوا، وإن سئلوا تعسفوا، وإن سألوا فأعنتوا، قد فرقوا الدين وصاروا شيعًا فهم يتنابزون بالألقاب ويتسابون بالكفر ويتعاضدون بالنحل ويتناصرون على الهوى وعاد الإسلام غريبًا كما بدأ غريباً[(١)].

فماذا يعجب من سلَّة السيف، وشمول الخوف، ونقص الأموال والأنفس؟ وهل يتوقع بعد تزيدنا في الغواية إلا التزيد في البلاء؟! حتى يحكم الله بما شاء بيننا وهو خير الحاكمين، وكان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم ويعلم ليعمل ويتفقه في دين الله لينتفع وينفع، فقد صار طالب العلم الآن يسمع ليجمع ويجمع ليُذْكر ويحفظ ليغالب ويفخر.

وكان المتناظرون في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع، والمستعمل من الواضح، وفيما ينوب النَّاس فينفع الله به القائل والسَّامع، فقد صار أكثر التَّناظر فيما دق وخفي، وفيما لا يقع، وفيما قد انقرض، من حكم الكتابة، وحكم اللِّعان، ورجم المحصن.

وصار الغرض فيه إخراج لطيفه، وغوصًا على غريبه، وردًّا على متقدمه فهذا يرد

(١) يشير المصنف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (١٤٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وسَيَعُودُ كَما بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبى لِلْغُرَباءِ».
قال في النهاية (٣/٣٤٨): أيْ أنّه كانَ فِي أوَّلِ أمْره كالغَرِيب الوَحيد الَّذِي لا أهْل لَهُ عِنْدَهُ، لِقَّلة المسْلمين يَوْمَئِذٍ، وسَيَعود غَرِيبًا كَما كانَ.

على أبي حنيفة[١]، وهذا يرد على مالك[٢]، وآخر يرد على الشافعي[٣] بزخرفٍ من القول ولطيفٍ من الحيل، كأنَّه لا يعلم أنه إذا ردَّ على الأول صوابًا عند الله بتمويهه أنه قد تقلَّدَ المآثمَ عن العاملين به دهر الدَّاهرين.

وهذا يطعن بالرأي على ماضٍ من السَّلف وهو بريء وبالابتداع في دين الله على آخر وهو يبتدع، وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر، وفي

---

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، وقيل: سبب تكنيته بأبي حنيفة ملازمته للدواة المسماة: حنيفة، بلغة العراق، ولد سنة ثمانين بالكوفة، في خلافة عبد الملك بن مروان في حياة صغار الصحابة، ولم يثبت له سماع لأحد منهم، كان ضعيفًا في الحديث وبرع في الفقه والرأي، توفي سنة ١٥٠ بعدما سقاه المنصور السم قهرًا. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٣٩٠).

(٢) مالك بن أنس بن مالك المدني الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، ولد على الأصح: في سنة ٩٣، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات. قال عنه الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٤٨)

(٣) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف الهاشمي القرشي، الشافعي نسبة إلى جده، ولد سنة ١٥٠ في غزة وهو أحد الأئمة الأربعة حاز المراتب العالية في الفقه ونال المناقب السامية في الحديث واللغة وهو أول من صنف في أصول الفقه وله الأم والرسالة، وكان يلقب بناصر الحديث توفي سنة ٢٠٤ بالبواسير. انظر: السير (١٠/١٥)، الأعلام للزركلي (٦/٢٦).

تفضيل أحدهما على الآخر[(١)]، وفي الوسواس والخطرات[(٢)]، ومجاهدة النفس وقمع

---

(١) يُفهم من كلام المصنف أن للسلف ثلاثة أقوال في المسألة:

- التسوية بينهما.
- تفضيل الشكر على الحمد.
- وتفضيل الحمد على الشكر.

وهذه الأقوال الثلاثة هي التي ذكرها ابن الجوزي، وحاصل الأمر ما قاله ابن القيم رحمه الله بعد تفصيل طويل، فقال: «فإذا عرف هذا فكل من الصبر والشكر داخل في حقيقة الآخر لا يمكن وجوده إلا به، وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به، باعتبار الأغلب عليه، والأظهر منه، وإلا فحقيقة الشكر إنما يلتئم من الصبر والإرادة والفعل.

فإن الشكر هو العمل بطاعة الله، وترك معصيته، والصبر أصل ذلك فالصبر على الطاعة، وعن المعصية هو عين الشكر، وإذا كان الصبر مأمورًا به فأداؤه هو الشكر.

فإن قيل: فهذا يفهم منه اتحاد الصبر والشكر وإنهما اسمان لمسمى واحد، وهذا محال عقلا ولغة وعرفًا، وقد فرق الله سبحانه بينهما.

قيل: بل هما معنيان متغايران وإنما بينا تلازمهما، وافتقار كل واحد منهما في وجود ماهيته إلى الآخر، ومتى تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه شكرًا، وإذا تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه صبرًا، أما الأول فظاهر، وأما الثاني إذا تجرد عن الشكر كان كافورًا ومنافاة الكفور للصبر أعظم من منافات السخوط». عدة الصابرين (ص١٥٠).

(٢) الكلام في الوسواس والخطرات من ترهات الصوفية التي لم يخض فيها السابقون بل ذمها السلف، قال البرذعي - كما في سؤالاته لأبي زرعة (٥٦١/٢) -: «شهدت أبا زرعة سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه؟ [فقال] للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك. قيل له: في هذه الكتب عبرة؟! فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة! فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكًا والأوزاعي صنَّفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع».

الهوى[١].

فقد صار المتناظرون يتناظرون في: الاستطاعة، والتَّولد، والطَفرةِ، والجزء، والعرض، والجوهر[٢]، فهم دائبون يخبطون في العشوات[٣]، قد تشعبت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الرِّدى.

وكان آخر ما وقع من الاختلاف أمرًا خَصَّ أصحاب الحديث، **الَّذين لم يزالوا بالسُّنة ظاهرين، وبالاتباع قاهرين**، يداجون[٤] بكل بلد ولا يُدَاجُون، ويُستتر منهم بالنِّحل[٥] ولا يَستترون[٦]، ويصدعون بحقهم النَّاس يستغشون، لا يرتفع بالعلم إلا من رفعوا، ولا يتضع فيه إلا من وضعوا، ولا تسير الركبان إلا بذكر من ذكروا، إلى أن كادهم

---

(١) من الكتب المطبوعة في ذلك: الزهد للأئمة: أحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وابن المبارك، وأسد بن موسى، وابن أبي الدنيا.

(٢) التولد: النشؤ، والطفرة: الوثبة في ارتفاع دون تدرج، والعرض: عند أهل الكلام ما يقوم بغيره، والجوهر عند أهل الكلام: ما قام بنفسه.

وكل هذه مسائل ابتدعها المتكلمون ولم يخض فيها سلف ولا انتفع بها خلف، فكلها مواضيع لا تسمن ولا تغني من جوع، وانظر فيها إن أردت توسعًا: (١/٢٩٩ وما بعدها).

(٣) أي في الظلام. انظر: اللسان (٧/٢٨٢).

(٤) أي: يعيشون بكل بلد. انظر: اللسان (٤/٢٩١).

(٥) يعني أن الناس كانوا يهابون أهل الحديث، ويظهرون لهم المعتقدات الحسنة، فكان الرجل من هؤلاء يتجمل أمامهم ويظهر الاستقامة أثناء وجودهم، خشية أن يقدحوا فيهم.

(٦) وفي المقابل كان أهل الحديث رضي الله عنهم لا يخافون ولا يهابون أحدًا إلا الله عز وجل، فكانوا يقولون الحق ويجهرون بعقائدهم ولو كلفهم هذا ما لا يطيقون، وانظر: كتاب «موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية» تجد الكثير من الأمثلة.

الشيطان بمسألة لم يجعلها الله –تعالى– أصلًا في الدِّين ولا فرعًا، في جهلها سعة، وفي العلم بها فضيلة، فنمى شرها وعظم شأنها، حتى فرقت جماعتهم، وشتت كلمتهم، ووهنت أمرهم، وأشمتت حاسديهم، وكفت عدوهم مؤنتهم بألسنتهم وعلى أيديهم، فهو دائب يضحك منهم ويستهزئ بهم حين رأى بعضَهم يكفر بعضًا، وبعضَهم يلعن بعضًا، ورآهم مختلفين وهم كالمتفقين، ومتباينين وهم كالمجتمعين، **ورأى نفسه قد صار لهم سِلمًا بعد أن كان حربًا.**

ولما رأيت إعراضَ أهل النَّظر عن الكلامِ في هذا الشَّأن منذ وقع وتركهم تلقيه بالدواء حين بَدَا، وبكشف القناع عنه حين نجم[(١)]، إلى أن استحكم أساسه، وبسق[(٢)] رأسه، وجرى على اعتياد الخطإِ فيه الكهل، ونشأ عليه الطفل، وعسر على المداوين أن يخرجوا من القلوب ما قد استحكم بالأُلْفِ ونبت على شراه اللحم، لم أرَ لنفسي عذرًا بأن قصر مقصر أو استعجل في أمر تَرْك ما أوجبه الله عليَّ بما وهب من فضل المعرفة[(٣)]؛ فتكلفت بمبلغ علمي ومقدار طاقتي ما رجوت أن يقضي بعض الحق عنِّي لعل الله ينفع به؛ فإنه بما شاء نفع.

وليس على من أراد الله بقوله أن يسأله الناس، بل عليه التبصير وعلى الله التيسير.

---

(١) أي: ظهر وطلع.

(٢) أي: طال كمل. انظر: العين (ص٧٥).

(٣) أخذ المصنف ﷺ الوجوب من قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ النّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، ولَوْلاَ آيَتانِ فِي كِتابِ اللَّهِ ما حَدَّثْتُ حَدِيثًا»، ثُمَّ تلا هذه الآيات. أخرجه البخاري (١١٨).

وسيوافق قولي هذا من الناس ثلاثة:

- رجلًا منقادًا سمع قومًا يقولون فقال كما قالوا، فهو لا يرعوي[١] ولا يرجع؛ لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر.
- ورجلًا تطمح[٢] به عزة الرياسة، وطاعة الإخوان، وحب الشهرة، فليس يَرُدُّ عزته ولا يُثني عنانه إلَّا الَّذي خلقه إنْ شَاء؛ لأنَّ في رجوعه إقْرَارَهُ بالغلط، واعترافه بالجهل، وتأبى عليه الأنفة[٣]، وفي ذلك أيضًا تشتت جمع وانقطاع نظام، واختلاف إخوان عقدتهم له النحلة، والنفوس لا تطيب بذلك، إلا من عصمه الله ونجاه.
- ورجلًا مسترشدًا، ويريد الله بعمله، لا تأخذه فيه لومة لائم، ولا يدخله من مفارق وحشة، ولا تلفته عن الحق أنفة، فإلى هذا بالقول قصدنا وإياه أردنا، ولم أَرَ صوابًا أن يكون الكتاب محررًا بذكر هذا الباب خاصة دون غيره.

فقدمت القول فيه بذكر بعض ما تأولته الجهمية[٤] في الكتاب والحديث وإن قلّ؛

---

(١) أي: لا ينزع عن الجهل. انظر: العين (ص٣٥٧).

(٢) في المطبوع: «تطمع»، والصواب ما أثبتناه.

(٣) أي: أخذته الحمية والاستنكاف والغضب. انظر: اللسان (١/٢٣٩).

(٤) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي السمرقندي الضال المبتدع، قال الإمام الذهبي في الميزان (١/٢٢٦): «هلك في زمن صغار التابعين، وما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيما»، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وهو تلميذ الجعد بن درهم أول من قال بخلق القرآن، وتعطيل صفات الله، وقد وافق =

لنحمد الله -تعالى- على النعمة، ونعلم أن الحق مستغن عن الحيلة، ولم أَعدُ في أكثر الرد عليهم طريق اللُّغة.

فأمَّا الكلام فليس من شأننا(١)، ولا أرى أكثر من هلك إلا به وبحمله على

= الجهم -لعنه الله- المعتزلة في نفي صفات الله الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، ونفى أن يوصف الله بصفة يوصف بها خلقه لأنه عنده تشبيه، وقال بخلق القرآن، وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط، وأن الجنة والنار تفنيان وكان ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحمل السلاح، ويقاتل السلطان، ووافق المعتزلة في نفي رؤية الله، قال عبد القادر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص٢١٢): «وكفره أصحابنا في جميع ضلالاته وكَفَّرته القدرية في قوله: بأن الله يرى خالق أعمال العباد، فاتفق أصناف الأمة على تكفيره»، والجهمية ينكرون الأسماء والصفات، ولا يصفون الله تعالى إلا بالنفي المجرد عن الإثبات ولفظ الجهمية قد يطلق على الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة إطلاقاً عاما، يُراد به من ينفي صفات الله، أو بعضها ونحوهم كالمعتزلة، والأشاعرة والماتردية. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦-٨٨)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨).

(١) يعني: علم الكلام، وقد عرف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله علم الكلام من منظور أهل السنة بقوله: «هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء بالكتاب والسنة». انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٩٥).

وقوله هنا: «ليس من شأننا»؛ لأنه رحمه الله قد جربه وخبره ورجع بخفي حنين. قال رحمه الله في «تأويل مختلف الحديث» (ص٧٦): وقد تدبرتُ -رحمك الله- مقالة أهل الكلام، فوجدتهم يقولون عن الله ما لا يعلمون، ويعيبون الناس بما يأتون، ويبصرون القذى في عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجذاع، ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون أراءهم في التأويل.

ثم استطرد في ذكر رؤوسهم والرد عليهم، ثم أتبعهم بأهل الرأي ثم قال ص(١٤٤-١٤٧): «فبمن يتعلق من هؤلاء ومن يتبع، وهذه مذاهبهم وهذه نحلهم، وهكذا اختلافهم وكيف =

= يطمع في تخلص الحق من بينهم، وهم مع تطاول الأيام بهم ومر الدهور على المقايسات، والمناظرات، لا يزدادون إلا اختلافًا، ومن الحق إلا بعدًا، وكان أبو يوسف يقول: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غرائب الحديث كذب».

قال أبو محمد: وقد كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب، وأن أضرب فيه بسهم، فربما حضرت بعض مجالسهم وأنا مغترٌّ بهم، طامع أن أصدر عنه بفائدة، أو كلمة تدل على خير، أو تهدي لرشد، فأرى من جرأتهم على الله ﷻ وقلة توقيهم، وحملهم أنفسهم على العظائم، لطرد القياس، أو لئلا يقع انقطاع، وما أرجع معه خاسرًا نادمًا، وقد ذكرهم محمد بن يسير الشاعر وقد أصاب في وصفهم حين يقول:

دَعْ مَنْ يَقُولُ الْكَلَامَ نَاحِيَة ... فَمَا يَقُولُ الْكَلَامَ ذُو وَرَعِ
كُلُّ فَرِيقٍ بُدَّهُمْ حَسَنٌ ... ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدَ لِلْشَنَعِ
أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنْ يُقَالُ لَهُ ... لَمْ يَكُ فِي قَوْلِهِ بِمُنْقَطِعِ

وقال عبد الله بن مصعب:

تَرَى الْمَرْءَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَقُولَا ... وَأَسْلَمُ لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَقُولَا
فَامْسِكْ عَلَيْكَ فُضُولَ الْكَلَامِ ... فَإِنَّ لِكُلِّ كَلَامٍ فُضُولَا
وَلَا تَصْحَبَنَّ أَخَا بِدْعَةٍ ... وَلَا تَسْمَعَنْ لَهُ الدَّهْرَ قِيلَا
فَإِنَّ مَقَالَتَهُمْ كَالظِّلَا ... لِ يُوشِكُ أَفْيَاؤُهَا أَنْ تَزُولَا
وَقَدْ أَحْكَمَ اللهُ آيَاتِهِ ... وَكَانَ الرَّسُولُ عَلَيْهَا دَلِيلَا
وَأَوْضَحَ لِلْمُسْلِمِينَ السَّبِيلَ ... فَلَا تَتْبَعْنَ سِوَاهَا سَبِيلَا
أُنَاسٌ بِهِمْ رَيْبَةٌ فِي الصُّدُورِ ... وَيُخْفُونَ فِي الْجَوْفِ مِنْهَا غَلِيلَا

الدِّين بما يوجبه القياس.

ألا ترى أن أهل القدر(١) حين نظروا في قدر الله الَّذي هو سره بآرائهم، وحملوه على

إِذَا أَحْدَثُوا بِدْعَةً فِـي الْقُـرْآنِ   تَعَـادُوا عَـلَـيْـهَا فَكَانُوا عُدُولَا
فَخَلِّـهُـمْ وَالَّـتِـي يَـهْضِبُـونَ   وَوَلِّهِمْ مِنْـكَ صَمْـتًا طَـوِيـلَا

قال أبو محمد: وقد كنت سمعت بقول عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل». اهـ

وقد أطال علماء أهل السُّنة القول في ذم الكلام وأهله، والرد على المتكلمين، انظر في ذلك:

- كتاب «ذم الكلام وأهله» بانتخاب أبي الفضل المقرئ.
- «ذم الكلام وأهله» لأبي إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي.
- «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام ابن تيمية مع كتابه أيضًا «نقض المنطق».

(١) القدرية: هم الذين يقولون: إن العباد هم الفاعلون لأفعالهم دون الله ﷻ، وأنهم هم الخالقون لأفعالهم، وسُمُّو بذلك لأنَّهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفراده واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر من الله وقضاء منه، وهم طائفتان:

• **الأولى**: القدرية الغلاة: وهؤلاء ينكرون أن علم الله سبق الأشياء قبل وجودها، وأن الأمر أُنف؛ أي مستأنف العلم إنما يعلمها الله ﷻ بعد وقوعها.

قال النووي في شرح صحيح مسلم (١/١٠٩): «وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم» اهـ، وقول شيخ الإسلام في الواسطية: «وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ» مقدم على كلام النووي لا سيما وشيخ الإسلام بعد النووي رحمهما الله.

• **الثانية**: القدرية غير الغلاة: وهم الذين يقولون: الخير من الله والشر من العبد نفسه، =

مقاييسهم، أَرَتْهُمْ أنفسهم قياسًا على ما جعل في تركيب المخلوق من معرفة العدل من الخلق على الخلق، أن يجعلوا ذلك حكمًا بين الله وبين العبد، فقالوا بالتَّخلية والإهمال، وجعلوا العباد فاعلين لما لا يشاء، وقادرين على ما لا يريد.

كـأنَّهم لم يسمعوا بإجماع النّاس على **ما يشاء الله كان ومَا لا يشاءُ لا يكون.**

وقالوا: كيف يُضلُّ ويُعذبُ ويُريدُ ويَكرهُ ويُحولُ ويُكلفُ؟

وهل قصرّ فاعل هذا من أفحَش الظُّلم؟

ونسوا ما يلزمهم في اختلاف الحكمين: وأن من ملك البعض ليس كمن ملك

= وأن الله لا يريد أفعال العصاة.

وهذا الذي استقر عليه أمرهم فهم يقولون بتقدم علم الله على الأشياء، ولكنهم ينكرون عموم مشيئة الله، وأن الله قدر الخير ولم يقدر الشر.

قال الإمام الأوزاعي ﷺ: «أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له: (سوسن) وكان نصرانيا، فأسلم، ثم تنصر، ثم أخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد». رواه الآجري في الشريعة (٥٥٥)، واللالكائي (١٣٩٨) **بسند صحيح.**

وعن ابن عون أنه قال: «أول ما تكلم الناس في القدر بالبصرة معبد الجهني وأبو يونس الأسواري». رواه الآجري في الشريعة (٥٥٧) وهو **صحيح.**

ويجمع بين الروايتين أن أول من قال بالقدر مطلقا هو سوسن النصراني، وأول من قال به بعده معبد الجهني، وكان بالبصرة، وعن معبد أخذ غيلان الدمشقي، ثم أخذها واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، من المعتزلة، فانتقل مذهب القدرية مع المعتزلة، وصار جزءً من مذهبهم، والمعتزلة أكثر هم قدرية كما في الفرق بين الفرق (ص٩٣).

ومن أحسن ما صنف أهل السنة والجماعة في الرد على هؤلاء، كتاب العلامة شيخ الإسلام ابن القيم: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل».

الكل، وأن الخلق كله لله، يميتُ ويُحيي، ويفْقِر ويُغْنِي، ويُصِحُّ ويُسْقِمُ، ويَبْتَدِئُ بالنِّعم من شاء، ويصطفِي للرِّسالة من شاء، ويؤيده بالتَّوفيق، ويملأُ قلبَه بالنُّور، ويعصمُه من الذنوب، ويجعل من بين يديه ومن خلفه رصدًا من الملائكة.

وأنَّه لو لم يرد المعصية لما هيأهم هيئة المعصية، ولما ركب فيهم آلة الشهوة كما طبع الملائكة، ولا سلَّط عليهم عدوهم ثُم أمرهم بالاحتراس، وأنَّى للضعيف بالاحتراس ممن حرست منه السماوات بالنجوم، ومُنِعَ من الاستماع بالرجوم وجعل له السبيل إلى القلوب من حيث لا يرى، فهو يجرى مجرى الدم، ويوسوس ويخنس ولا يعصمه الله، ولا خلق الله آدم للأرض وأسكنه الجنة، وحرَّم عليه الشجرة، وقد علم أنه سَيُغَر فَيَغِر فَيَغْتَر، ويُسْتَزَلُّ فَيَزِلُّ، حتى يخرجه منها إلى حيث جعل له فيه مستقرًا ومتاعًا إلى حين.

ولما اطَّرَد لهم القول على ما أصلوا، ورأوه حَسن الظاهر، قريبًا من النُّفوس، يَرُوْقُ السامعين، ويستميل قلوب الغافلين، نظروا في كتاب الله فوجدوه ينقض ما قاسوا، ويبطل ما أسسوا فطلبوا له التأويلات المستكرهة والمخارج البعيدة، وجعلوه عويصًا وألغازًا، وإن كانوا لم يقدروا من تلك الحيل على ما يصح في النظر ولا في اللغة.

كقولهم في: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ ينسبهم إلى الضلال ﴿وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ﴾ ينسبهم إلى الهداية[(١)]، وما في نسبهم[(٢)] إلى ذلك؟ حتى يعيد فيه ويبدي، ولو كان أراد النسبة لقال:

---

(١) قال أبو أحمد القصاب في النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (٢٦١/١) ردًا على هذا الاستدلال: «وهذا قول يستغني سامعه بقبحه عن إيراد الحجة في نقضه، ومن كان هذا مبلغ علمه باللغة لم يحسن به التروس بالبدعة».

(٢) وقع في المطبوع: «نسبتهم»، والصواب ما أثبتناه.

(يضلهم) كما يقال: (يخونهم) ويفسقهم، ويظلمهم أي: ينسبهم إلى ذلك.

وقالوا في قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾[(١)].

أي: ما كان لها أن تؤمن إلا بعلم الله، وعلموا ما يلزمهم أن (جعلوا الإذن هاهنا المشيئة والإطلاق، وذهبوا إلى قول القائل: (آذنتك بالأمر) أي: أعلمتك.

وهذا من تأويلهم **لا يصح في نظر ولا في لغة.**

أمَّا النَّظر: فإنه لم يقل أحد من الناس: إنَّ شيئًا يحدث في الأرض لا يعلمه الله؛ فيقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾، وإنَّما اختلفوا في الإذن الَّذي هو المشيئة والإطلاق.

فقال المثبتون: لم يشأ الله أن يؤمن جميع الناس ولو شاء لآمنوا، فليس لنفس أن تؤمن حتى يشاء الله ذلك ويطلقه.

وقال أهل القدر: قد شاء الله هذا لكل نفس وأطلقه فلها أن تؤمن إن شاءت.

وفي صدر هذا الكلام دليل على ما قال أهل الإثبات؛ لأن النبي ﷺ كان يحب إيمان قريش[(٢)] فأنزل الله عليه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[(٣)]، ثم قال على إثر ذلك: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ

---

(١) قال الإمام سفيان الثوري، في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾: إلا بقضاء الله. تفسير الطبري (١٧٩١٠).

(٢) أي: أنه ﷺ كان يريد أن يؤمنوا.

(٣) **لم أقف على هذا اللفظ**: ولكن روى الطبري (٢١٨/١٢)، وابن أبي حاتم (٢٨٤/٤)، =

= والطبراني (١٣٠٢٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٩)، كلهم من طريق عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾، ونحو هذا في القرآن، فإنّ رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميعُ الناس، ويتابعوه على الهدى، فأخبره اللهُ أنّه لا يؤمن مِن قومه إلا مَن قد سبق له مِن الله السعادةُ في الذِّكْرِ الأول، ولا يَضِلُّ إلا مَن سَبَقَ له مِن الله الشقاءُ في الذِّكر الأول.

قلت: وهذا سند **ضعيف**؛ عليّ بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، ولم يره. وقد صرح بذلك: دحيم، وأبو حاتم الرازي، كما في «المراسيل» (ص ١٤٠)، وابنُ معين، كما في سؤالات يزيد بن الهيثم (رقم ٢٦٠)، وابن حبان في «الثقات» (٧/ ٢١١)، والخطيب في «الموضح» (١/ ٣٥٥)، ونقل الإجماع أبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» (ص ٣٩٤). وتبعهم في ذلك: الهيثميُّ في «المجمع» (٧/ ١٤، ١٥)، والعلامة أحمد شاكر في تحقيقه (٢/ ٥٢٧)، والإمام محمد ناصر الدين الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٥). وشيخنا أبو إسحاق الحويني كما في تحقيقه لتفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٣).

ولكن للسيوطي شأن آخر! فهو يقول في «الإتقان» (٢/ ٥): «وطريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس من أصح الطرق عنه. وعليها اعتمد البخاريُّ في صحيحه».

قلت: وقوله: «من أصح الطرق عنه» تساهل منه لما ذكرنا من أن الانقطاع بينهما يكاد يكون مجمع عليه بين أهل العلم إن لم يكن كذلك، أما قوله: «وعليها اعتمد البخاريُّ في صحيحه» فقوله: «اعتمد»! يوهم القارئ أن البخاري أكثر من إخراج هذه الترجمة «علي عن ابن عباس» وهذا خاطئ فهو كان يذكرها تعليقا وإن كان بصيغة الجزم لكنه لم يسند حديثا من هذه الطريق أصلاً! وأما ما اعتمد عليه السيوطي وغيره من العلماء ممن صحح رواية علي عن ابن عباس فهو على اعتبار أن عليًا يرويها عن مجاهد، فقد ذكر المزي في «التهذيب» (٤٩٠/٢٠) رواية عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم قال: «مرسل بينهما مجاهد».

ولو ثبت عندنا أن الواسطة مجاهدٌ لحكمنا بقوة هذا السند وجودناه. ولكن الإشكال هنا فأنا لم أقف مع كثرة بحثي على دليل واحد يؤيد هذا القول ولم أجده بين أقوال =

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ يريد بمشيئته وإطلاق.

فأول الكلام دليل على آخره، والنَّاس مجمعون لا يختلفون على أن القائل إذا قال: (لو شئت لأتيتك) أنه لم يشأ إتيانه، و(لو شئت لحججت) أنه لم يشأ الحج، و(لو شئت لتزوجت) أنه لم يشأ التزوج، فكذلك يلزم في: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أنه لم يشأ ذلك ومثله: ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ و: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾، فإن قال: أراد لو شاء لآمنوا إجبارًا ولكنه لم يشأ أن يجبرهم على ذلك، **قيل له**: لم يشأه على حال فاجعله بأي وجه شئت.

وقيل: والله يفعل لعباده ما هو أصلح لهم في كل حال عندهم، فأي الأمرين كان أصلح لهم؟! أن يجبرهم على الإيمان فيؤمنوا، أو يخليهم وشأنهم فيكفروا؟! فهذا النظر.

وأما اللُّغة: فإنَّه لا يجوز أن يُجعل الإذن العلم؛ لأنَّه الإذن، ألا ترى أنَّ قائلًا لو قال

= علماء الجرح والتعديل ولو كان كذلك فمن ضعف هذه السلسلة ممن ذكرتهم كأبي حاتم وابن معين والخطيب وابن حبان كان سيذكر شيئا عن هذا ولكن لم أجد ولو مجرد إشارة إلى هذا. اللَّهُمَّ إلا ما رواه أبو جعفر النحاس في «معاني القرآن» عن أحمد بن حنبل، قال: «إن بمصر صحيفة في التفسير رواها عليّ بن أبي طلحة، لو رحل رجلٌ فيها إلى مصر قاصدًا، ما كان كثيرًا.» وليس قول أحمد صريحًا في ثبوتها، ما فيها إلا الإيماء بل ولم يذكر شيئا يتعلق بمجاهد أو أنه سمع التفسير منه، وقد خالف أحمد أقرانه ممن ذكرنا. غير أننا لو تتبعنا رواية علي عن مجاهد فنحن بالكاد نقف على الحرف بعد الحرف مما يجعل الأمر مستبعدًا لأنها صحيفة طويلة، ولو سلمنا أن علي رواها عن مجاهد فما المصلحة من إسقاطه، وجعل السند منقطعًا؟ وعليه ففي القلب شيء من تجويد هذا الإسناد والذي يترجح عندي هو ضعفُ هذا الإسناد والله أعلم.

لك: «قد آذنتك بخروج الأمير إيذانًا»، أي: أعلمتك خروجه إعلامًا، أنَّ جوابك كان يقول له: قد أَذَنت لقولك إذنًا؛ أي: سمعته فعلمته، والإيذان مأخوذ من الإذن، إنَّما هو إيقاع الخبر في الأذن، والأذن استماعه وعلمه، قال عدي بن زيد(١):

أَيُّهَا القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ (٢) إنّ هَـــــمِّيْ في سَـمَاع وأُذُنْ(٣)

ومنه أذانُ الصَّلاة: إنَّما هو إسماع النَّاس ذكرها؛ حتَّى يعلموا، وقول الله ﷻ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾، أي: إسماع وإعلام، والإذن في الشَّيء أن تشاءه وتطلقه تقول: أذنت له في الخروج إذنًا، هذا ما ليس به خفاء على من نظر في اللُّغة وفهمها(٤).

---

(١) عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي، كان شاعرًا نصرانيًا من أهل الحيرة، عاش في القرن السادس الميلادي وكان من دهاة الجاهلية، فصيحا، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانا بينه وبين العرب، فسكن المدائن، ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هندا بنت النعمان، وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

(٢) الددن: اللهو واللعب، ويستعمل محذوف النون «الدّد». انظر: اللسان (د د ن).

(٣) [البحر الرمل]: أمالي ابن الشجري (٣٦/٢)، واللسان (أذن، د د ن).

(٤) ما زال كلام المصنف يؤكد أهمية تعلم اللغة لمن يهتم بباب العقائد، وأن أكثر من ضل قد ضل بسبب جهله باللغة؛ ولهذا لما قال بشر المريسي بخلق القرآن، وكان من دعاة هذه الفتنة، ومن رءوسها، قال له علماء السنة: إنما أُوتيت من قِبل العجمة، وذلك لأنه استدل على بدعته تلك ببعض الآيات التي لا يستقيم فيها فهمه مع اللغة.

وقال أيوب السختياني: «عامة من تَزَنْدَقَ بالعراق لقلة علمهم بالعربية».

وقالوا في قوله ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، فجعلوا الإرادة في الهداية والإضلال للعبد، لا لله، ورَكِبُوا في ذلك أفحش غلط، وأحول كلام.

والإرادة لا تجوز أن تكون للعبد وقد وليها اسم الله، وهو مرفوع بإجماع [جميع][١] القراء.

ولو كان أحد منهم نصب (الله) لكان أقرب من المعنى الَّذي أراده، وإنْ كَان لا يجوز أيضًا؛ لأنَّه يضمر في الكلام (من) فيكون معناه: (من يريد من الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)، ثم يحذف (من) وينصب الله لما نزع حرف الصلة كما يقال:

مَنْ يَسْرِقِ الْقَوْمَ مَالَـهُمْ يُقْطَعْ ....

أي: يسرق من القوم مالهم، وهذا ليس يجوز إلا مع حروف معدودة محكية عن العرب، **ولا نحمل عليها غيرها ونقيسه عليها.**

وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾، أراد دفعنا وألقينا، واحتج من احتج منهم بقول المثقب العبدي[٢] حكاية عن ناقته[٣]:

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) هو العائذ بن مُحصن بن ثَعْلَبَة شاعِر جاهلي من أهل البَحْرين اتَّصل بِالملكِ عَمْرو بن هِنْد وله فِيهِ مدائح، ومدح النُّعْمان بن المُنْذر، وشعره جيد فِيهِ حِكْمَة ورقة.

(٣) [الوافر]: ديوانه (ص ١٩٥، ١٩٨)، المفضليات (٢٩٢/١)، والجمهرة (٢/ ٣٠٥)، (٤٤٢/٣)، واللسان (درأ)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٥٩)، وتاج العروس (درأ)، (دين)، (وضن)، وشعراء الجاهلية =

تَـــقولُ إذا دَرَأتُ لَها وضِـينِي[(١)] أهَــــذا دِينُـــه أبَــــدًا ودِيني[(٢)]

وهذا جهل باللُّغة وتَصْحِيف[(٣)]، وإنَّما هو (درأت) بالدال غير معجمة.

والله يقول: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا﴾ بالذَّال، وأحسبهم سمعوا بقول العرب (أذرته) الدابة عن ظهرها: أي: (ألقته)، فتوهموا أن (ذرأنا) من ذلك، و(ذرأنا) في تقدير: فعلنا مهموزًا وذاك في تقدير فعلنا، غير مهموز، ولو أريد ذلك المعنى لكان: (ولقد أذرينا لجهنم)، وسمعوا بقولهم: ذرته الريح، وبقول الله: ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾، أي: تنسفه وتلقيه فتوهموه منه.

ولو أريد ذلك لكان: (ولقد ذرونا لجهنم). وليس يجوز أن يكون: ﴿ذَرَأۡنَا﴾ في هذا الموضع إلا خلقنا، [كما قال][(٤)]: ﴿ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وقال: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ أي:

= (٤٠٥- ٤٠٩)، منتهى الطلب (٢٩٩/١، ٣٠١).

(١) الوَضِين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر.

(٢) دينه: أي دأبه وعادته.

(٣) التصحيف: هو الخطأ في نقط حروف الكلمة، أو في شكل حركاتها، مع المحافظة على شكل الكلمة، وصحَّف الكلمة: أخطأ في قراءتها وروايتها، أو حرفها عن موضعها، وتصحَّف القارئ: أخطأ في القراءة.

ومن طرائف التصحيف في القرآن ما رواه النديم في كتابه، أنه كان شيخ يقرأ: «والله ميزاب السماوات والأرض، فسمعه الرَّوَندي، فسأله عن معنى ميزاب، فقال الشيخ هذا المطر الذي ترى، فقال له الروندي: ما يكون التصحيف إلا هذا! إنما هو: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فقال الشيخ: اللّهُمَّ غُفرا، أنا منذ أربعين سنة أقرؤها، وهي في مصحفي هكذا.

(٤) سقط من المطبوع.

يخلقكم في الرَّحم، ومنه قيل: ذرِّية الرجل لولده، وإنَّما هو خلق الله منه.

وقالوا في قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾، أراد: إِنْ هو إلا اختبارك (تضل به من تشاء) يعني الفاسقين (وتهدي من تشاء) يعني المؤمنين، واحتجوا بقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ و(الفاسقون) هاهنا بمعنى: الكافرون؛ لأنه قال في صدر الآية: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾. وكيف يُضِلُّ الضَّال ويهدي المهتدي؟!

فإن قالوا: يزيد الكافر ضلالة والمؤمن هداية، أكذبهم في هذا الموضع معنى الآية؛ لأنَّ فتنة القوم بالعجل إنَّه كان فضة وحليًا، فتحوَّل جسدًا له خوار، فارتدُّوا عن الإسلام وعبدوه، ولم يكن مع موسى بني إسرائيل كافر، ولو كانوا كفارًا ما غضب، ولا ألقى الألواح[1]، فإنَّما وقع الإضلال هُهنا بمسلمين.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾.

واختلف أهل العلم في السبب الذي لأجله ألقى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الألواحَ على قولين:

- القول الأول: غضبًا على قومه حين رآهم قد عبدوا العجل.
- والثاني: أنّه لَمّا رأى فضائل غير أمته من أُمَّة محمد ﷺ اشتَدَّ عليه، فألقاها، وهو قول قتادة بن دعامة.

والذي يظهر من كلام المصنف أنه يقول بالقول الأول وهو ما ورجَّحه ابنُ جرير الطبري (١٠/٤٥٤)، قائلًا: «لأنّ الله -تعالى ذِكْرُه- بذلك أخبر في كتابه، فقال: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾». ووافقه ابنُ كثير (٣٩٦/٦) وقال: «وهذا قول جمهور العلماء سلفًا وخلفًا». وقال =

وأما قوله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾، فإنه نزَّل في قوم من يهود سمعوا قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾.

فقالوا: ما هذه الأمثال التي لا تليق بالله؟!! فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ من الذباب، والعنكبوت، فقالوا: ما أراد بمثل ينكره النَّاس فيُضِلُّ به كثيرًا منهم؛ فقال الله –تعالى–: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ يعني: اليهود خاصة؛

= أيضًا: «وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولًا غريبًا، لا يَصِحُّ إسناده إلى حكاية قتادة، وقد ردَّه ابنُ عطية وغيرُ واحد من العلماء، وهو جديرٌ بالرد، وكأنّه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذّابون ووضّاعون وأفّاكون وزنادقة».

قلت: خبر قتادة أخرجه الطبري (١٠/٤٥٤)، وابن أبي حاتم (٥/١٥٦٤، ١٥٦٥)، **بسند صحيح إلى قتادة**.

وأخرج أحمد (٢٤٤٧)، وابن حبان (٦٢١٣)، (٦٢١٤)، والحاكم (٣٤٣٥)، **بسند صحيح**، عن ابن عباس، قال: قال النبيُّ ﷺ: «يرحمُ اللهُ موسى، ليس المُعاينُ كالمُخْبَرِ، أخبره ربُّه -تبارك وتعالى- أنّ قومه فُتنوا بعده، فلم يُلقِ الألواح، فلمّا رآهم وعايَنهم ألقى الألواح؛ فتكسَّر ما تكسر».

قلت: إن صح هذا الحديث – وهو صحيح – لكان دليلاً هنا؛ حيث أن قوله ﷺ: «ليس المُعاينُ كالمُخْبَرِ»، يفيد أن سيدنا موسى عليه السلام اشتد غضبه لما رآهم وعاينهم، فألقى الألواح، ولو كان غير ذلك لألقاها فور علمه بذلك، والله تعالى أعلى وأعلم.

لأنَّهم ضلُّوا بالمثل وأنكروه ولم ينكره غيرهم[١].

(١) **حسن عن ابن عباس**: وقد صح مقطوعًا؛ قاله مقاتل في تفسيره (٩٥/١)، ولم أقف على لفظ اليهود إلا عنده وعند المصنف، ولكن روى الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣-٢٤) قال: أَخْبَرَنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إسْحاقَ الحافِظُ في كِتابِهِ، قالَ: أخْبَرَنا سُلَيْمانُ بْنُ أيُّوبَ الطَّبَرانِيُّ، قالَ: حَدَّثَنا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ، قالَ: حَدَّثَنا عَبْدُ الغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُوسى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾. قالَ: وذَلِكَ أنَّ اللَّهَ تَعالى ذَكَرَ آلِهَةَ المُشْرِكِينَ فَقالَ: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ﴾. وذَكَرَ كَيْدَ الآلِهَةِ فَجَعَلَهُ كَبَيْتِ العَنْكَبُوتِ، فَقالُوا: أرَأيْتَ حَيْثُ ذَكَرَ اللَّهُ الذُّبابَ والعَنْكَبُوتَ فِيما أنْزَلَ مِنَ القُرْآنِ عَلى مُحَمَّدٍ، أيَّ شَيْءٍ كانَ يَصْنَعُ بِهَذا؟ فَأنْزَلَ اللَّهُ تَعالى هَذِهِ الآيَةَ.

قلت: وهذا **سند واهٍ جدًا**؛ فيه بكر بن سهل الدمياطي شيخُ الطبراني: ضعيف، ضعفه النسائي وغيره، وفيه عبد الغني بن سعيد: ضعفه ابن يونس والذهبي، وقال الحافظ في الإصابة (٢٥٦/٤): «أحد الضعفاء»، وقال السيوطي في لباب النقول (ص٩): «عبد الغني واهٍ جدًّا»، وانفرد ابن حبان بتوثيقه فذكره في ثقاته (٤٢٤/٨)، وهذا تساهل منه، وأجاب الحافظ عن توثيقه فقال في اللسان (٢٣١/٥): «ابن يونس أعلم به».

وموسى بن عبد الرحمن هو الصنعاني قال ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٢/٢): «شيخ دجَّال يضع الحديث وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتابًا في التفسير، جمعه من كلام الكلبي ومقاتل بن سليمان وألزقه بابن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

ولم يحدِّث به ابن عباس ولا عطاء سمعه ولا ابن جريج سمع من عطاء إنَّما سمع ابن جريج من عطاء الخراساني، عن ابن عباس في التفسير، أحرفًا شبيهًا بجزء وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس شيئًا ولا رآه ولا تحل الرواية عن هذا الشيخ، ولا النظر في كتابه إلا على سبيل الاعتبار». وقال الذهبي في تاريخ الإسلا: «متروك».

وأخرج الطبري (١/ ١٧٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ رقم٢٧٣)، من طريق أَسْباطُ بْنُ نَصْرٍ الهَمْدانِيُّ، عَنْ إِسْماعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مالِكٍ، وعَنْ أَبِي صالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: «لَمّا ضَرَبَ اللَّهُ هَذَيْنِ المَثَلَيْنِ لِلْمُنافِقِينَ، يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾، وقَوْلُهُ: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، الآياتُ الثَّلاثُ، قالَ المُنافِقُونَ: اللَّهُ أعْلى وأجَلُّ مِن أنْ يَضْرِبَ هَذِهِ الأمْثالَ. فَأنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡىِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾، إلى قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾».

قلت: وهذا أقرب ما يكون لكلام المصنف، وهو المراد، **وسنده حسن**؛ فأسباط بن نصر الهمداني: قال البخاري في تاريخه الأوسط: «صدوق»، ووثقه: ابن معين في روايةٍ، وابن حبان، وابن شاهين، وتوقف فيه أحمد. وضعفه أبو نعيم في رواية أخرى، والساجي، والأقرب أن حديثه حسن.

فإن قيل: أسباط بن نصر تفرد بروايته تفسير السُّدي، ومثله لا يحتمل منه تفرده؟!

أجبت: بأن علماء الحديث يفرقون بين رواية الحديث ورواية الكتب، فيتسامحون أن يروي لين الحفظ كتابًا تعاهده وعانى عليه ويردون أو يتوقفون في رواية الحديث المجرد، وأسباط أعلى من درجة الضعف، فروايته مقبولة عندهم إن شاء الله.

والسدي: هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة أبو محمد القرشي الكسوفي الأعور، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة مات سنة ١٢٧هـ.

تكلم فيه بعض النقاد لكن قال ابن معين: سمعت يحي بن سعيد القطان يقول: ما رأيت أحدا يذكر الشدي إلا بخير، وما تركه أحد.

أخرج الإمام مسلم حديثة في «صحيحه»، وأخرج له أيضا أصحاب السنن الأربعة.

وجاء عنه أنه يرى الرفض والتشيع ويسب الصديق وعمر رضي الله عنهما.

قلت: وحديثه عندي حسن إلا إذا انفرد بحديث يُلاحظ في متنه النزعة الرافضية.

وأبو مالك هو الغفاري، واسمه غزوان وثقه ابن معين، وابن حبان، وابن سعد.

وقد يأتي الحرف وظاهره العموم ومعناه الخصوص كقول موسى عليه السلام: «وَأَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِيْنَ» وقول النبي ﷺ: «وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِيْنَ»(١) لم يريدا كل المؤمنين وكل المسلمين في جميع الأزمنة، بل مؤمني زمن موسى، ومسلمي زمن نبينا عليه السلام، وكذلك قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ۝١٤٠﴾، ولم يفضلهم على محمد ﷺ، ولا أممهم على أمته وإنَّما أراد [عالم](٢) أزمنتهم.

(١) قطعة من **حديث صحيح** أخرجه مسلم (٧٧١)، وأبو داود (٧٦٠)، واللفظ له، من طريق الأعرج، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْـمُشْرِكِينَ، أن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْـمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْـمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِـي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّـرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**، وإذا ركع قال: **اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي**؛ وإذا رفع قال: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ**؛ وإذا سجد قال: **اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**؛ ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْـمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْـمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**». ولفظ مسلم: «**وَأَنَا مِن الْـمُسْلِمِينَ**».

(٢) وقع في المطبوع: [عالمي] والصواب ما أثبتناه.

وشيء لم نزل نسمعه منهم على قديم الأيام، وقد ارتضوه لأنفسهم ودوَّنُوه في كتبهم، وأجمع عليه عالِمُهم وجاهلُهم وكهلُهم وحدثُهم في تأويل قول الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾، وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾، وأشباه هذا أنَّه حكم عليهم، فإذا نحن تدبرنا هذا التأويل وقابلنا به التنزيل لم نجد هذا المتأول حمل كتاب الله على مثل هذه التأويلات إلا لإقامة مذهبه.

وحاول بعضهم إبدال بعض حروفه بغيرها فقرأ: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ﴾[١] بالسين غير المعجمة والنَّصب، وقرأ جميع ما في القرآن من: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بكسر اللام وإن كان قرأ بذلك بعض القراء[٢]، يريد أن يجعل الإخلاص لهم، ولا يكون لله في ذلك صنع، فكيف يصنع بقوله: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾؟!

---

(١) أي: قرأه هكذا: (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ) وهذا تحريف صريح والعياذ بالله.

(٢) فقرأها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب، بالكسر، بينما الباقون على فتحها، انظر: التحبير (يوسف: ٢٤).

قال ابن جرير الطبري: «والصَّواب من القول في ذلك أن يقال: إنَّهما قراءتان معروفتان قد قُرِأ بهما جميعًا جماعة كثيرة من القراء، وهما مُتَّفِقَتَا المعنى. وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادة، ومن أخلص توحيدَ الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئًا، فهو ممن أخلصه الله، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصوابِ مصيبٌ».

وقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ﴾ بكسر، ﴿إِنَّمَا﴾ الأولىٰ، وفتح الثانية، يريد: (لا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا، إنما نملي لهم خيرًا لأنفسهم)، فحرَّف[(١)] المعنى عن جهته، ونقله عن سننه، وجعل الإملاء للكفار من الله إنَّما هو لخير يريده بهم.

وقد حمل بعضهم نفسه علىٰ أن قرأ: (ليزدادوا إيمانًا)[(٢)] وألحقها في بعض المصاحف طمعًا في أن تبقىٰ على الدهر، ويجعلها النَّاس وجهًا وكيف يتم له ما قدر؟! والله يقول إلى جنبها: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾.

ولما رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر، وكثر بينهم التنازع، حملهم البغض لهم، واللُّجاج على أن قابلوا غلوهم بغلو، وعارضوا إفراطهم بإفراط.

فقالوا بمذهب جهم[(٣)] في الجبر المحض[(٤)]، وجعلوا العبد المأمور المنهي

(١) في المطبوع: [محرف] والصواب ما أثبتناه.

(٢) يعني: بدل ﴿إِثْمًا﴾.

(٣) هو جهم بن صفوان الترمذي، سبق التعريف به، والجهم –قبحه الله– زعيم المرجئة ونفاة الصفات اشتهر بأربع عقائد:

١- عقيدة نفي الصفات.

٢- عقيدة الإرجاء.

٣- عقيدة الجبر – وهي التي يريدها المصنف هنا وسيأتي بيانها.

٤- القول بفناء الجنة والنار.

(٤) **الجبرية** قسمان:

- الأولى: **الجبرية الخالصة**: وهم الجبرية الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، وقد تقدم الكلام =

[المكلف][(١)]، ولا يستطيع من الخير والشَّرِّ شيء على الحقيقة، ولا يفعل شيء على الصحة، وذهبوا إلى أن كلَّ فعل ينسب إليه فإنما ينسب إليه على المجاز، كما يقال في الموات: (مال الحائط). وإنَّما يراد: (أميل)، و(ذهب البرد) وإنَّما (ذُهِبَ به).

وكِلا الفريقين غالط وعن سواء الحق حائد، ولو كان الأمر على ما قالوا لم يكنِ

= عليه، ومن أقوالهم القول بالجبر، ولذا نسبوا إليه.

ومعنى الجبر: أن العباد مجبورون على أعمالهم، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وليس لهم فيها أي اختيار، وإنما تضاف إليهم على سبيل المجاز.

وقالوا: إن الله يريد الشر ويفعله؛ قالوا لأن الشر موجود فلا بد له من خالق ولا خالق إلا الله.

وأما ما نُسب إلى الخلق من أفعالهم فقالوا أن ذلك كحركة الأشجار عند هبوب الريح وزوال الشمس، وإنما فعل بالأشجار والشمس ذلك هو الله سبحانه.

- الثانية: **الجبرية المتوسطة**: وهم الأشاعرة، وهم يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة، وهو ما يعبرون عنه بالكسب.

قال ابن القيم في شفاء العليل (١/٣١٣): «وكسب الجبرية لا معنى له ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه، وضربوا له الأمثال وأطالوا في المقال».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في النبوات (ص١٦٦): «ولا يقول [يعني الأشعري] إن العبد فاعل في الحقيقة بل كاسب ولم يذكروا بين الكسب والفعل فرقًا معقولاً، بل حقيقة قولهم قول جهم: إن العبد لا قدرة له ولا فعل ولا كسب».

قلت: فنزاع الجهمية والأشاعرة في هذه المسألة لفظي، وكله يصب في مصب قول جهم.

وانظر في الرد عليهم: شفاء العليل (٢/ ٢٥٥،وما بعدها)، ووسطية أهل السنة بين الفرق (ص ٣٧١-٣٧٢)، وكتاب القضاء والقدر للبيهقي تحقيق محمد بن عبد الله آل عامر (ص ٧٨-٨٠).

(١) سقطت من المطبوع.

القدر سرًا، ولم يكن النَّاظر فيه كالناظر في شعاع الشمس(١) ففيما [إذ](٢) اختصمت الملائكة(٣).

---

(١) **ضعيف**: يشير المصنف إلى ما أخرجه الطبراني (١٠٦٠٧) قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْلِمٍ الْكَشِّيُّ، ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَجَاءٍ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ أَبُو يُوسُفَ قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ: صَحِبْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بَصَرُهُ وَبَعْدَمَا أُصِيبَ، فَسُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ: «وَجَدْتُ أَصْوَبَ النَّاسِ فِيهِ حَدِيثًا أَجْهَلَهُمْ بِهِ، وَأَضْعَفَهُمْ فِيهِ حَدِيثًا أَعْلَمَهُمْ بِهِ، وَوَجَدْتُ النَّاظِرَ فِيهِ كَالنَّاظِرِ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ، كُلَّمَا ازْدَادَ فِيهِ نَظَرًا ازْدَادَ بَصَرُهُ فِيهَا تَحَيُّرًا».

قلت: **وسنده ضعيف**؛ فيه يزيد بن أبي سلمة أبو يوسف الأيلي: ضعفه ابن معين، انظر: لسان الميزان (٨ / ٤٩٧).

(٢) ليست في المطبوع.

(٣) يشير إلى حديث اختصام الملأ الأعلى: وهو ما أخرجه البزار في مسنده (٤١٧٢) فقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قرابة أحمد بن منيع قال: نا الحسن بن سوار قال: نا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن أبي يحي عن أبي أسماء عن ثوبان ﵁ قال خرج إلينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال: «إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا قال: ثم ذكر شيئا قال: فخيل لي ما بين السماء والأرض قال: قلت: نعم يا رب يختصمون في الكفارات والدرجات فأما الدرجات فإطعام الطعام وبذل السلام وقيام الليل والناس نيام وأما الكفارات: فمشي على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في المكروهات وجلوس في المساجد خلف الصلوات ثم قال: يا محمد قل تسمع وسل تعطه قال: قلت: فعلمني قال: قل اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإن أردت فتنة في قوم فتوفني إليك وأنا غير مفتون اللَّهُمَّ أسألك حبك وحب من يحبك وحبا يبلغني حبك».

قال أبو بكر البزار: «وهذا الحديث قد روى عن النبي ﷺ بنحو كلامه من وجوه =

وفيم ألحح[١] عزير في السؤال حتى محي من ديوان النبوة[٢]، فيم احتج آدم

= ذكرنا حديث ثوبان دون غيره لأن في الأحاديث الأخر اضطرابا واقتصرنا على هذا الحديث وفيه أيضا زيادة ليست في حديث معاذ بن جبل ولا في حديث ابن عباس ولا في حديث عبد الرحمن بن عائش».

(١) وقع في المطبوع: [ألح]، والصواب ما أثبتناه.

(٢) **منكر**: يشير إلى ما أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٦٠٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٤٦)، من طريق مصعب بن سوار عن أبي يحي القتات عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: لما بعث الله موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة قال: اللّٰهُمَّ إنك رب عظيم، ولو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت أن لا تعصى ما عصيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تعصى، فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله عز وجل إليه: إني لا أسأل عما أفعل، وهم يسألون، فانتهى موسى عليه السلام، فلما بعث الله عز وجل عزيرًا، وأنزل عليه التوراة بعدما كان قد رفعها على بني إسرائيل، حتى قال من قال: إنه ابن الله، قال: اللّٰهُمَّ إنك رب عظيم، لو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت أن لا تعصى ما عصيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تعصى، فكيف يا رب؟ فأوحى الله إليه: إني لا أسأل عما أفعل، وهم يسألون، فأبت نفسه حتى سأل أيضًا، فقال: اللّٰهُمَّ أنت رب عظيم، لو شئت أن لا تعصى ما عصيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت تعصى، فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله: إني لا أسأل عما أفعل، وهم يسألون، فأبت نفسه حتى سأل أيضا، فقال: أتستطيع أن تصر صرة من الشمس؟ قال: لا، قال: فتستطيع أن تجيء بمكيال من ريح؟ قال: لا، قال: أفتستطيع أن تجيء بمثقال من نور؟ قال: لا، أفتستطيع أن تجيء بقيراط من نور؟ قال: لا، قال: فهكذا لا تقدر على الذي سألت عنه، إني لا أسأل عما أفعل، وهم يسألون، أما إني لا أجعل عقوبتك إلا أن أمحي اسمك من الأنبياء فلا تذكر فيهم، فمحا اسمه من الأنبياء، فليس يذكر فيهم وهو نبي، فلما بعث الله عيسى عليه السلام، ورأى منزلته من ربه، وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحي الموتى، وينبئهم =

= بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، قال: اللَّهُمَّ إنك رب عظيم، لو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت أن لا تعصى ما عصيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تعصى، فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله إليه: إني لا أسأل عما أفعل، وهم يسألون، وأنت عبدي ورسولي، وكلمتي ألقيتك إلى مريم، وروح مني خلقتك من تراب، ثم قلت لك: كن فكنت، لئن لم تنته لأفعلن بك كما فعلت بصاحبك بين يديك، إني لا أسأل عما أفعل، وهم يسألون، فجمع عيسى عليه السلام تبعته، فقال: القدر سر الله، فلا تكلفوه.

قلت: وهذا أثر **منكر جدًا**؛ أبو يحيى، واسمه: زاذان، وقيل: دينار، وقيل: غير ذلك: ضعيف، قال النسائي: ليس بالقوي، وضعفه شريك بن عبد الله، وابن حبان، وراويه عنه: مصعب بن سوار، كذا يسميه عبد الله بن رجاء، فقلب اسمه وإنما هو: سوار بن مصعب، وسوار: متروك الحديث، قال أحمد، وأبو حاتم والنسائي: متروك الحديث. زاد أبو حاتم: ذاهب الحديث، لا يكتب حديثه، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه ليس بمحفوظ، وهو ضعيف.

قال الهيثمي في المجمع (٧/٢٠٠): «فيه أبو يحيى القتات، وهو ضعيف عند الجمهور، وقد وثَّقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها، ومصعب بن سوار لم أعرفه وبقية رجاله ثقات». **قلت**: وهذا تقصير معهود منه، فمصعب بن سوار، هو سوار بن مصعب، وهذا القلب مألوف عند المحدثين.

وليس هذا الأثر الوحيد الوارد في هذا؛ فقد أخرج اللالكائي (٤/٨٠٣) قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن الحسن البزاز، قال: حدثنا عثمان بن أحمد، قال: ثنا أبو العباس أحمد بن محمد البرتي قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا الحارث يعني ابن نبهان، قال: حدثنا أبو عمران أن عزيزا تكلم في القدر، فنهي، ثم تكلم، فنهي، فقيل له: «لتمسكن أو لأمحون اسمك من النبوة، فلم يمسك فمحي».

قلت: وهذا أيضاً **منكر جداً**؛ الحارث بن نبهان البصري: منكر الحديث كما قال: أحمد، والبخاري، والفسوي، وتركه: أبو حاتم، والنسائي، وقال ابن الجارود ويحيى وأبو داود: =

وموسى؟[(١)]، وإنَّما صار سرًا لأنَّك ترى قادرًا وهو عاجز، ومؤيدًا وهو ممنوع، وترى حازمًا محرومًا، وعاجزًا مرزوقًا، وشجاعًا مخذولًا، وجبانًا منصورًا، وعاقلًا لا يستشار في الأمور ولا يستعمل، وساقطًا متهافتًا لا يعطل، وعالمين متقاربين في العلم والنظر في الدين خصمين وهما مختلفان، فهذا يقول بالإهمال المحض؛ وذاك يقول بالإجبار المحض، وهذا

= «ليس بشيء»، وضعفه العجلي والجوزجاني ويعقوب بن شيبة، والعقيلي والبزار، وقال ابن حبان: «لا يحتج به»، نقل الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٣٨٠) عن ابن القطان الفاسي، قال: «الحارث بن نبهان متروك الحديث».

وقال ابن كثير في البداية (٢/٣٩١): «وقد روى عبدالرزاق وقتيبة بن سعيد، عن جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني، عن نوف البكالي، قال: قال عزير فيما يناجي ربه: يَا رَبُّ، تَخْلُقُ خَلْقًا فَتُضِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ، فقيل له: أَعْرِضْ عَنْ هَذَا، فَعَادَ؛ فقيل له: لِتَعْرِضْ عَنْ هَذَا، أَوْ لَأَمْحُوَنَّ اسْمَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، إِنِّي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون».

قلت: وهذا السند أحسنهم، والظاهر أن نوفا البكالي أخذ هذه من الإسرائيليات.

(١) **متفق عليه**: يشير رحمه الله إلى حديث احتجاج آدم وموسى وهو ما أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومَنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟!! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى». ثَلَاثًا.

حروري[١]، وذاك رافضي[٢]، وترى أعداء الله يُدَالون أولياءه حتى يقتلوهم كل قتله،

---

(١) **الحرورية**: اسم يطلق على الخوارج، نسبة إلى مكان قرب الكوفة يقال له: حروراء نزل به الخوارج عندما اعتزلوا من جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبوا أن يساكنوه في بلده، وقد أرسل إليهم علي ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم، فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم، وزعيمهم يومئذ: عبد الله بن الكواء اليشكري، وشبث بن ربعي.

من عقائدهم:

- تعطيل الصفات.
- تكفير بعض الصحابة كأهل التحكيم، وأصحاب الجمل وعلي وعثمان ومن والاهما.
- القول بخلق القرآن.
- عدم حجية خبر الآحاد.

هم في القدر ثلاثة أقسام: مجبرة، ونفاة، وموافقون لأهل السنة.

انظر: الفرق بين الفرق (ص٧٢ – ٧٣)، والبداية والنهاية (٣٠٤/٨)، وراجع: الملل والنحل للشهرستاني، و«الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها».

(٢) **الرافضة**: هم ابتاع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي كان من يهود اليمن، ثم جاء وأظهر الإسلام، وهو زنديق خبيث، فأظهر حب علي بن أبي طالب حتى غلا فيه إلى أن قال: أنت الله، فحرق علي رضي الله عنه طائفة منهم.

وسموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره على أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا فارس فقال لهم أي زيد بن علي رفضتموني قالوا نعم فبقى عليهم هذا الاسم.

ويجمعهم الغلو في آل البيت، ويكفرون من عداهم من الصحابة إلا نفرا يسيرًا جدًا. ويقولون بعصمة الأئمة وأن الإمام أرفع من النبي، ويقولون بالبدا على الله والرجعة، ورأس دينهم التقية؛ وهي الكذب. وقد تفرعت منهم ف فرقاً عديدة، راجعها في كتب الفرق. =

ويمزقونهم كل ممزق.

وترى النَّاس أصنافًا في التفضيل:

فمنهم: قوم ابتدأهم الله بالنِّعم، وأسكنهم ريف الأرض[(١)] وأكرمهم، وأخدمهم، وحسَّن وجوههم، وبيَّض ألوانهم، وسقاهم العذب النِّقاح[(٢)] ورزقهم من الطَّيِّبات، وأطعمهم من كلِّ الثَّمرات، ووفَّر عليهم العقول والأفهام، وفتَّق ألسنتهم بالحكمة، وألبابهم بالعلم، وبعث فيهم بالقرب منهم الرُّسل، كأهل هذا الإقليم الذي أسكنَنَاه الله بفضله.

ومنهم: قوم أنزلهم أطراف الأرض، وجذوبة البلاد، وأذلَّهم، وأعراهم، وشوَّه خلقهم، وسوَّد ألوانهم، وسقاهم المِلْحَ الأُجَاج، وجعل أقواتهم الحشراتِ والنباتِ، وسلبهم العقولَ، وباعدهم من مبعث الرُّسل، ومنتهى الدعوة، فهم كالأنعَام بل هم أضلُّ سبيلًا، ثم جعلهم لجهنم حصيبًا، ولسعيرها وقودًا، كالزنج[(٣)] وصنوف كثيرة من السودان،

= ولشيخ الإسلام كتاب نفيس في الرد عليهم يتكون من خمسة مجلدات سماه «منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية».

(١) قال في العين (ص٣٨١): الريف: الخصب والسعة في المأكل والمطعم.

(٢) أي الصافي من الأذى المنقح منه، انظر: العين (ص٩٨٠).

(٣) الزنج: قوم ينسبون إلى زُنْج: بضم أوله وسكون ثانيه، وآخره جيم، من قرى نيسابور، وقد حدثت فتنة الزنج سنة (٢٥٥)، قال الذهبي في تاريخ الإسلام (أحداث:٢٥٥): «فيها فتنة الزنج، وخروج قائد الزنج العلوي بالبصـرة. خرج وعسكر، وانتسب إلى زيد بن علي، وزعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي، وهذا نسب لم يصح. وكان مبدأ ظهوره في هذه السنة، والتفَّ عليه عبيد أهل البصرة من الزنج، وغيرهم. وعظُمَ أمره وفعل بالمسلمين =

وأصناف من الأعاجِم، ويأجوج ومأجوج[١]، فهل لهؤلاء أن يحتجوا على الله بما منح غيرهم ومنعهم؟

= الأفاعيل، وهزم الجيوش، وامتدت أيامه، وتمادى في غيّه إلى أن قتل إلى غير رحمة الله في سنة سبعين، على يد أحمد بن الموفق». وانظر: معجم البلدان (١٥٣/٣).

(١) قال القرطبي في تفسيره (٥٥/١١-٥٦): «قَالَ الْأَخْفَشُ: مَنْ هَمَزَ «يَأْجُوجَ» فَجَعَلَ الْأَلِفَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ يَقُولُ: يَأْجُوجَ يَفْعُول وَمَأْجُوجَ مَفْعُول كَأَنَّهُ مِنْ أَجِيجِ النَّارِ. قَالَ: وَمَنْ لَا يَهْمِزُ وَيَجْعَلُ الْأَلِفَيْنِ زَائِدَتَيْنِ يَقُولُ:«يَاجُوجَ» مِنْ يَجَجْتُ وَمَاجُوجَ مِنْ مَجَجْتَ وَهُمَا غَيْرُ مَصْرُوفَيْنِ، قَالَ رُؤْبَةُ:

لَــوْ أَنَّ يَــاجُوجَ وَمَـاجُوجَ مَـعًا ... وَعَــادَ عَــادٌ وَاسْتَـجَاشُوا تُـبَّـعَا

ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ. وَقِيلَ: إِنَّمَا لَمْ يَنْصَرِفَا لِأَنَّهُمَا اسْمَانِ أَعْجَمِيَّانِ، مِثْلُ طَالُوتَ وَجَالُوتَ غَيْرَ مُشْتَقَّيْنِ، عِلَّتَاهُمَا فِي مَنْعِ الصَّرْفِ الْعُجْمَةُ وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّأْنِيثُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: هُوَ مُعَرَّبٌ مِنْ أَجَّ وَأَجَّجَ علتاه فِي مَنْعِ الصَّرْفِ التَّعْرِيفُ وَالتَّأْنِيثُ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا عَرَبِيَّيْنِ، فَمَنْ هَمَزَ«يَأْجُوجَ» فَهُوَ عَلَى وَزْنِ يَفْعُول مِثْلِ يَرْبُوعَ، مِنْ قَوْلِكَ أَجَّتِ النَّارُ أَيْ ضَوِيَتْ، وَمِنْهُ الْأَجِيجُ، وَمِنْهُ مِلْحٌ أُجَاجٌ، وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ خَفَّفَ الْهَمْزَةَ فَقَلَبَهَا أَلِفًا مِثْلَ رَأْسٍ.

وَأَمَّا «مَأْجُوجُ» فَهُوَ مَفْعُولٌ مِنْ (أَجَّ)، وَالْكَلِمَتَانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ فِي الِاشْتِقَاقِ وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَفَّفَ الْهَمْزَةَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَاعُولًا مِنْ مَجَّ، وَتَرْكُ الصَّرْفِ فِيهِمَا لِلتَّأْنِيثِ وَالتَّعْرِيفِ كَأَنَّهُ اسْمٌ للقبيلة.

واختلف في إفسادهم، فقال سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِفْسَادُهُمْ أَكْلُ بَنِي آدَمَ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: إِفْسَادُهُمْ إِنَّمَا كَانَ مُتَوَقَّعًا، أَيْ سَيُفْسِدُونَ، فَطَلَبُوا وَجْهَ التَّحَرُّزِ مِنْهُمْ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: إِفْسَادُهُمْ هُوَ الظُّلْمُ وَالْغَشْمُ وَالْقَتْلُ وَسَائِرُ وُجُوهِ الْإِفْسَادِ الْمَعْلُومِ مِنَ الْبَشَرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ».اهـ

لا لعمر الله، ما لأحد عليه حجة، ولا قبله حقٌّ، ولا فيما خلق شرك، بل له الحجة البالغة، وهو الفَعَّال لما يريد.

وأعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدلٌ لا يجور كيف خلق؟ وكيف قدَّر؟ وكيف أعطى؟ وكيف منع؟ وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السماوات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل، وإن العباد يستطيعون ويعملون، ويجزون بما يكسبون، وأنَّ الله لطيف يبتدئ بها من أراد، ويتفضل بها على من أحب، ويوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته، ويمنعها من حقت عليه كلمته.

فهذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله ﷻ، وما سوى ذلك مخزون عنه.

وتعمَّق آخرون في النَّظر وزعموا أنهم يريدون تصحيحَ التوحيد بنفي التَّشبيهِ[(١)]

(١) زعمًا منهم أن إثبات الصفات تشبيه، قال الإمام ابن القيم في كتاب الروح (ص٣٠٢- بتحقيقي): «والفرق بين إثبات حقائق الأسماء، والصفات، وبين التشبيه، والتمثيل فيما قاله الإمام أحمد، ومن، وافقه من أئمة الهدى أن التشبيه، والتمثيل أن تقول يد كيدي أو سمع كسمعي أو بصر كبصري، ونحو ذلك، وأما إذا قلت سمع، وبصر، ويد، ووجه، واستواء لا يماثل شيئا من صفات المخلوقين بل بين الصفة، والصفة من الفرق كما بين الموصوف، والموصوف فأي تمثيل ههنا، وأي تشبيه لولا تلبيس الملحدين فمدار الحق الذي اتفقت عليه الرسل على أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تشبيه، ولا تمثيل إثبات الصفات، ونفي مشابهه المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد حقائق ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن أثبت له حقائق الأسماء، والصفات، ونفي عنه مشابهة المخلوقات فقد هدي إلى صراط مستقيم».

عن الخالق فَأَبطلوا الصفات مثل الحلم، والقدرة والجلال، والعفو، وأشْبَاه ذلك فقالوا: نقول: هو الحلِيم، ولا نقول: بحلم، وهو القادر ولا نَقول: بقدرة، وهو العالم ولا نقول: بعلم[١]، كَأَنَّهم لم يسمعوا بإجمَاع النَّاس أن يقولوا: (أسألك عفوك) وأن يقولوا: (يعفو بحلمٍ ويعاقب بقدرةٍ) [وأن يقولوا: (يا ذا الجلال والإكرامِ) أوليس الحليم هو ذا الحلم][٢] القدير هو ذو القدرة والعفو هو ذو العفو، والجليل هو ذو الجلالة، والعليم هو ذو العلم؟

فإن زعموا أن هذا مجاز[٣] قيل لهم: ما تقولون في قول القائل: «غفر الله لك»، «وعفا

---

(١) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «الصواعق المرسلة» (٩٣٨/٣): «﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي إنَّكم إنَّما تدعون إلهًا واحدًا له الأسماء الحسنى، فأي اسم دعوتموه فإنما دعوتم المسمى بذلك الاسم فأخبر سبحانه أنه إلهٌ واحدٌ وإن تعددت أسماؤه الحسنى المشتقة من صفاته، ولهذا كانت حسنى وإلا فلو كانت كما يقول الجاحدون لكماله أسماء محضة فارغة من المعاني ليسَ لها حقائق لم تكن حسنى، ولكانت أسماء الموصوفين بالصفات والأفعال أحسن منها».

(٢) ساقط من المطبوع.

(٣) المجاز في اللغة: مشتق من الجواز وهو العبور والتعدي. انظر: لسان العرب (٤١٦/٢)، تاج العروس (٣٤/٨).

وعرفوه اصطلاحاً بأنه: «ما استعمل في غير ما وضع له في أصل وضع اللغة»، انظر: الإحكام (٢٨/١)، شرح العضد (١٤١/١)، فتح الغفّار (١٨/١).

هذا واعلم بأن المجاز اصطلاح حادث أحدثه المتكلمون لتحريفِ كلام الله وكلام رسوله، والحق عندنا أن الكلام لا ينقسم في الشرع إلى حقيقة ومجاز وإنما هذا التقسيم حادث بعد القرون الثلاثة وليس معروفًا في عهد الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين، فإن قيل: =

عنك»، «وحلم الله عنك»، أمجازٌ هو؟ أو حقيقة؟

فإن قالوا: هو مجازٌ فالله لا يغفر لأحد[١]، ولا يعفوا عن أحد، ولا يحلم عن أحد على الحقيقة، ولن يركبوا هذه.

فإن قالوا: هو حقيقة فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر، لأنَّا نقول: غفر الله

= لماذا لا نجعل تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز من باب التقسيم الاصطلاحي؟

قلت؛ نرفض هذا التقسيم ولا نجعله من باب التقسيم الاصطلاحي لأن هذا التقسيم ينبني عليه عمل، حتى أن شيخ الإسلام ابن القيم سمى المجاز بالطاغوت، وبين بطلانه من خمسين وجه، انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٦٩٠ فما بعدها).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الإيمان (ص٧٩): «تقسيم الألفاظ الدَّالة على معانيها إلى [حقيقة ومجاز] وتقسيم دلالتها أو المعاني المدلول عليها، إن استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة، فإن هذا كله قد يقع في كلام المتأخرين. ولكن المشهور أنَّ الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ، وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم، كمالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشَّافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللُّغة، والنَّحو، كالخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء، ونحوهم. وأول من عُرف أنَّه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه. ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة. وإنَّما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية».

وقال رحمه الله كما في المجموع (٢٠/٤٠٣): «من اعتقد أنَّ المجتهدين المشهورين وغيرهم من أئمة الإسلام وعلماء السلف قسموا الكلام إلى حقيقة ومجاز، كما فعله طائفة من المتأخرين: كان ذلك من جهله وقلة معرفته بكلام أئمة الدين وسلف المسلمين».

(١) أي: على هذا القول ينبغي أن يكون الله عندهم لا يغفر لأحد.

مغفرة، وعفا عفوًا، وحلم حلمًا، **فمن المحال أن يكون واحدٌ حقيقة والآخر مجازًا.**

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدِى مَتِينٌ ١٨٣﴾.

وأجمع الناس على أن الحول والقوة لله والحول: الحيلة، وقالوا في: ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٦١﴾ جميعًا هما سواء، ليس في سميع من المعنى إلَّا ما في بصير، ولا فيهما جميعًا إلا معنى عليم، وقد سمع الله قول اليهود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾، حين قالوه، وعلمه قبل أن يقولوه، فهل يجوز لأحدٍ أن يقول: إن اللهَ سمعه قبل أن يقولوه؟

وكذلك قول الـمُجادِلة في زوجِها، قد سمع الله جِدَالها وسمع محاورتها للنَّبي ﷺ حين جادلته وحاورته، وعلمه قبل أن تجادل وتحاور به، فهل لأحد أن يقول: إن اللهَ قد سمعه قبل أن يكون؟ وإذا لم يجز ذلك فقد علم أنَّ في: ﴿سَمِيعٌ﴾ معنى غير معنى عليم، والله يقول: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾.

[مسألة][(١)]: **وقالوا في كلام الله: إنَّه مخلوق**[(٢)]؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا

---

(١) ليس في المطبوع.

(٢) وهذا هو قول المعتزلة، الذين يقولون: أن كلام الله ﷻ خَلْقٌ من خَلْقِ الله، وأنه حروف وأصوات يخلقها تعالى بَائِنا عنه، ولا يوصف بصفة الكلام، كما لا يوصف بشيء من الصفات أصلاً، ولهذا ذكر القاضي عبد الجبار في «شَرْحِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ»، مسألة القرآن في قِسْمِ أَفْعَالِ اللَّهِ، انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٥٢٨)، وهم بهذا القول ينسبون إلى الله تعالى ما يقوم بغيره من الصفات، **وَهُوَ مِمَّا يُعْلَمُ ببطلانه بالضَّرُورَةِ.**

وهذا مخالف لمذهب سلف الأمة وأئمة الحديث القائلين: بأن الكلام صفة من صفات الله ﷻ، **يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ وَمَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ**، وأن القرآن الكريم كلامه سبحانه تكلم به =

عَـرَبِيًّا﴾، والجعل بمعنى: الخلقُ، ولأنَّه قال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾، وكل محدث مخلوق، وأنَّ معنى [تكلم][(١)] الله أوجَدَ كلامًا، و﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾، أوجده كلامًا سمعه.

فخرجوا بهذا التَّأويل من اللُّغة ومن المعقول؛ لأنَّ معنى (تكلم الله) أتى بالكلام من عنده، وكذلك تطوَّل الله: أتى بالطول من عنده، وترحَّم اللهُ: أتى بالرَّحمة من عنده، كما يُقال: تخشع فلان: أتى بالخُشوع من نفسه، وتشجع: أتى بالشَّجاعة من نفسه، وتبتَّل

= على الحقيقة.

واتفقوا على أن القرآن تكلم به رب العزة على الحقيقة، فسمعه جبريل وبلغه النَّبِيَّ ﷺ كما سمعه، وعلى الإنكار على من يقول بأن القرآن مخلوق، وجاء عن كثير منهم تَكْفِيرُ هذه الْمَقَالَةِ.

روى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٢٣٥)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص١١٧)، **بسند صحيح** عن عمرو بن دينار أنه قال: «سَمِعْتُ مَشْيَخَتَنَا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةٍ يَقُولُونَ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، قال إسحاق بن راهويه: «وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ من البدريين والمهاجرين والأنصار مثل جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير، وأجلة التابعين رحمة الله عليهم، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا في ذلك.اهـ

ثم روى –اللالكائي– عَنْ خمسمائة رجل من التابعين وأتباعهم ومن بعدهم كلهم يقول: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٢٣٤ – ٣١٢). ثم قال: «فَهَؤُلَاءِ خَمْسُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ نَفْسًا أَوْ أَكْثَرَ، مِنَ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمَرْضِيِّينَ سِوَى الصَّحَابَةِ الْخَيِّرِينَ، عَلَى اخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ، وَمُضِيِّ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ».

(١) في المطبوع: (كلم الله)، والصواب ما أثبتناه.

أتى بالبتل من نفسه، وتحلم أتى بالحلم من نفسه.

ولو كان المراد: أوجد كلامًا لم يجزْ أن يُقال: تكلم، وكان الواجبُ أنْ يقال: أكلم، كما يُقالُ: أقبح الرجل: أتى بالقباحة، وأطاب: أتى بالطَّيِّب، وأخسَّ: أتى بالخسَاسةِ، وأنْ يقالُ: أكْلَمَ اللهُ موسى إكلامًا، كما يقال: أقبر اللهُ الميت، أي: جعلَ له قبرًا، أو أرعى اللهُ الماشية: جعلها ترعى في أشباهٍ لهذا كثيرة لا تخفى على أهل اللُّغة، والعرب تسمي الكَلامَ: لسانًا؛ لأنَّه عن اللسان يكون؛ قال الشاعر وهو أمية بن أبي الصَّلت:

وَاسْمَعْ لِسَانَ[1] اللهِ كَيْفَ شُكُولُهُ[2] فَأَعْجَبُ وَيَلْسُنُكَ الّذِي تَسْتَنْشِدُ[3]

أراد: اسمع كلام الله، ثم قال: «ويلسنك» أي: يكلمك الذي تستنشده أي: كأنه يكلمك، وقال الله ﷻ حكاية عن إبراهيم: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾، وقال الشاعر:

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أَسِرُّ بِهَا..................................[4]

---

(١) في المطبوع: [كلام الله]، وما أثبتناه هو الصواب، وراجع التخريج.

(٢) شكوله: أشكاله.

(٣) [الكامل]: والبيت في ديوانه (ص١٣٢) والحيوان (٧/٥٥).

(٤) [البسيط]: وهو لأعشى باهلة في إصلاح المنطق (ص ٢٦)؛ والأصمعيات (ص ٨٨)؛ وأمالي المرتضي (٢/ ٢٠)، وجمهرة اللغة (ص ٩٥٠، ١٣٠٩)؛ وخزانة الأدب (٦/ ٥١١)، وسمط اللآلي (ص٧٥)؛ وشرح المفصل (٤/٩٠)، ولسان العرب (سخر).

أي: أخبر[١].

وأمَّا استشهادهم بالجعل على خلق القرآن في قول الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[٢]، فإنَّ الجعل يكون بمعنيين:

أحدهما: خلق.

والآخر: غير خلق.

فأمَّا الموضع الَّذي يكون فيه خلقًا:

فإذا رأيته متعدِّيًا إلى مفعول واحد لا يجاوزُه كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، فهذا بمعنى خلق وكذلك: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: خلق منها، وأما الموضع الذي يكون فيه غير الخلق: فإذا رأيته متعديًا إلى مفعولين كقوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾، أي: صيَّرتم، وكقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾، وكقول القائل: (جعل فلان أمر امرأته في يدها) فإن هم وجدوا في القرآن كله (جعل) متعدية إلى القرآن وحده؛ **ليقضوا عليه بالخلق فنحن نتابعهم**[٣].

---

(١) وقع في المطبوع: [أخبرت].

(٢) قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (١/١٨٢): «وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ ؛ فَمَا أَفْسَدَهُ مِنِ اسْتِدْلَالٍ! فَإِنَّ (جَعَلَ) إِذَا كَانَ بِمَعْنَى خَلَقَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ».

(٣) معنى كلام المصنف: أن كلمة (جعل) في لغة العرب لها معنيان:

فإن كانت متعدية لمفعول واحد فهي بمعنى خلق؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾. =

وكذلك المُحْدَثُ ليس هو في كل موضع بمعنى مخلوق[(١)]؛ فإن أنكروا ذلك فليقولوا في قول الله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ۝١﴾ إنَّه يخلق، وكذلك قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ۝١١٣﴾: أي: يحدث لهم القرآن ذكرًا.

والمعنى: يجدد عندهم ما لم يكن، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ أي: ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك.

وفعلوا في كتاب الله أكثر مما فعل الأولون في تحريف[(٢)] التأويل عن جهته، فقالوا

= وإن كانت متعدية لمفعولين فلا يصلح أن تكون بمعنى خلق، بل هي بمعنى صير، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾، فهل معنى هذا أنهم خلقوا القرآن أجزاء؟ هذا لا يقول به أحد، و وهو يُفسد المعنى؛ وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، هل معناها: لا تخلقوا الله!! بئس القول قولكم، وبئس الحماقة في الاستدلال حماقتكم.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٥٢٢/١٢): «المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزله جديدا، فإن الله كان ينزل القرآن شيئًا بعد شيء، فالمنزل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخر، وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب كما قال تعالى: ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩﴾، وقال: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ۝٩٥﴾».

(٢) **التحريف** في اللغة: التغيير والتبديل والإمالة، وقلم محرف بأحد طرفيه عن الآخر، والتحريف: في القرآن والسنة تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها، وهذا من فعل اليهود، حيث قال الله عنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، والتحريف قسمان:

- **أحدها**: تحريف اللفظ: وهو العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها؛ كقول اليهود في (حطة) حنطة.
- **ثانيها**: تحريف المعنى وهو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ على ما هي عليه كالقول في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ : استولى مع =

في قول الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾، أن اليد هنا: النِّعمة[1]، وما نُنكرُ أنَّ اليد قد

= بقاء لفظها استوى.

وهذا النوع هو الذي وقع فيه كثير من الناس من أهل البدع، وأهل التحريف يسمونه تأويلا ترويجا لباطلهم، والواقع أنه تحريف؛ لأنه أدل على الحال، وأقرب للإنصاف والعدل؛ لأنه تأويل بغير دليل، فما كان بغير دليل فالإنصاف أن يسمى تحريفا، كما أن التأويل يحمل معنى صحيحًا ومعنى فاسدًا، وهذا من المعنى الفاسد، فمن النصح للأمة أن تسميه باسمه الحقيقي لكي يحذروه؛ لأنهم إذا سمعوا التحريف نفروا عنه بخلاف التأويل.

ولهذا عبر المصنف ﵀ تعالى بقوله: «تحريف التأويل».

(١) وأعظم من قال بهذا القول هم متأخري الأشعرية والماتوريدية، الذين يقولون بتحديد الصفات بسبع أو ثمان صفات، ويقسمون الصفات إلى أربعة أقسام: نفسية، وسلبية، ومعاني ومعنوية. فالنفسية هي الوجود، والسلبية هي القدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس والمعاني هي سبع صفات زائدة على الذات، وهي: الحياة، والإرادة، والعلم، والقدرة، والسمع والبصر، والكلام، والمعنوية عندهم هي كونه مريداً وقادراً وحياً، عليماً، سميعاً، بصيراً، متكلماً. انظر: متن السنوسية (ص٢).

وقد زاد المتقدمون من أئمة الأشعرية الكبار صفة اليد والوجه، كأبي بكر الباقلاني، كما في التمهيد له (ص٢٩٥)، وأبي بكر بن فورك كما في مشكل الحديث وبيانه (ص١٧٤ـ ١٨٣) ونقل الذهبي في مختصر العلو (ص ٢٥٨) عن كتاب الإبانة للباقلاني إثباته صفة العلو أيضاً.

وسبب إثبات هؤلاء لهذه الصفات هو أن أبا محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب شيخ الأشعري الذي انحاز إليه أبو الحسن بعد توبته من الاعتزال، وابن كلاب هو مثبت لهذه الصفات الخبرية الذاتية كالوجه واليدين والعين والعلو، فقد ذكر الشهرستاني أن أبا الحسن الأشعري لما ترك الاعتزال انحاز إلى جماعة منهم ابن كلاب، وأيد مقالتهم بمناهج كلامية، وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة، ذكره في الملل والنحل (ص ٩٣)، وهذا =

تتصرف على ثلاثةِ وجوه من التأويل:

أحدها: النعمة.

والآخر: القوَّة من الله: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥﴾ يريد: أُولِي القُوَّة في دين الله والبصائر، ومنه يقول الناس: (مالي بهذا الأمر يد) [أي][1]: ما لي به طاقة.

= المذهب الكلابي هو الطور الثاني لأبي الحسن، وغالب المنتسبين إليه من المتقدمين كالباقلاني، وابن فورك، على قوله في هذا الطور، وأما المتأخرون كأبي المعالي ومن بعده فزادوا على التأويل الذي قاله به في هذا الطور للصفات الاختيارية كما سيأتي، زادوا تأويل الصفات الذاتية إلا السبع، وزادوا أيضا إنكار العلو، ولأبي الحسن طور ثالث وهو إثبات كل الصفات وعدم التأويل مطلقا، وهو الذي صار إليه بأخرة، كما يدل على ذلك كتاب الإبانة (ص ٢٩٧).

أما متأخرو الأشعرية، فقد غلوا في التأويل، كأبي المعالي الجويني، وهو من أوائل من غلا فيه، وهو شيخ أبي حامد وهذان مع الرازي والآمدي، قاربوا المعتزلة فأكثروا من التأويل وأنكروا صفة العلو، والصفات الخبرية القرآنية التي أثبتها المتقدمون، وتكلموا في قواعد المذهب على هذا الأساس لا سيما الرازي فقد غلا في التأويل جدا، ثم صنفت الكتب والمختصرات لدى الأشعرية، على هذا النحو من تأويل الصفات إلاّ السبع، وقد تذكر فيها بعض الصفات الخبرية على أنه قول ثان للأصحاب ولأبي الحسن، انظر: المواقف للايجي (ص٢٦٩).

ولهذا فإن بعض المفسرين ممن ينتسب إلى هذا المذهب بعد هؤلاء - مثل البيضاوي - يؤولون هذه الصفات خلافاً للمتقدمين من أئمة المذهب، وقد يذكرون الإثبات على أنه قول ثان للأصحاب، انظر تفسير البيضاوي (١٢/٣).

(١) وقع في المطبوع: [يعنون]، وهو تحريف!

والوجه الثالث: اليد بعينها.

ولكنَّه لا يجوز أن يكون أراد في هذا الموضع النعمة؛ لأنه قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ والنِّعَم لا تغل، وقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ معارضة بمثل ما قالوا، ولا يجوز أن يكون أراد: غُلَّت نعمهم، ثم قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ولا يجوز أن يريد: نعمتاه مبسوطتان.

وكان مما احتجوا به للنِّعمة قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لو أراد اليد بعينها لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول اليد، فما أعجب هذا الجهل والتعسف في القول بغير علم!

ألم يسمعوا بقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ١٧﴾ وبقوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٣٠﴾ وقوله: ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾، واللَّعن: الطَّرد، **فهل قتل الله النَّاس جميعًا؟** وهل قتل قومًا وطرَد آخرين؟ ولم يسمعوا بقول العرب: قَاتَلَهُ الله ما أبطشه، وأخزاه الله ما أشعره، وبقول النبي ﷺ: «تَرِبَتْ يَدَاكَ[1]»[2]، أي: افتقر ولم يفتقر، ولامرأة: «عَقْرَى حَلْقَى»[3] ولم يعقرها الله، ولا أصاب حلقها بوجع، **فإن قال لنا**: ما

(١) وقع في المطبوع: [يداه].

(٢) وردت هذه العبارة في أحاديث كثيرة:

منها ما أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) من حديث أبي هريرة أن النبي ن قال: «تُنْكَحُ الْـمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».

وقال لجابر: «..فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». أخرجه مسلم (٧١٥).

وقال لعائشة: «تَرِبَتْ يَدَاكِ أَوْ يَمِينُكِ». أخرجه مسلم (١٤٤٥).

(٣) قطعة من حديث عائشة **المتفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٣٢٩)، ومسلم (١٢١١)، عن =

اليدان هاهنا؟

قلنا له: هما اليدان اللتان تعرف الناس.

كذلك قال ابن عباس في هذه الآية: «اليدان اليدان»(١)، وقال النبي ﷺ: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»(٢)، فهل يجوز لأحد أن يجعل اليدين هاهنا نعمة أو نعمتين؟ وقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

فنحن نقول كما قال الله تعالى، وكما قال رسوله ﷺ، ولا نتجاهل، ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه، على أن نُنكر ما وصفَ به نفسَه، ولكن لا نقولُ: كيف اليدان؟ وإن سألنَا نقتصرُ على جملةِ ما قالَ، ونُمسِكُ عمَّا لم يقل.

وتأويل الآية: أن اليهود قالت: يد الله مغلولة أي: مُمسكة عن العطاءِ(٣)، فضربت الغل في اليد مثلًا؛ لأنَّه يقبضُ اليدَ عن أن تمتد وتنبسط، كما تقبض يد البخيل فقال

= عائشة ﵂ أنها قالت: «**لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يَنْفِرَ إِذَا صَفِيَّةُ عَلَى بَابِ خِبَائِهَا كَئِيبَةً، فَقَالَ لَهَا: عَقْرَى أَوْ حَلْقَى، إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا، أَكُنْتِ أَفَضْتِ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَانْفِرِي إِذًا**».

(١) لم أقف عليه.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو ب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْـمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا**».

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٥٦٥/١): «قاله ابن عباس وقتادة والفراء وابن قتيبة والزجاج»، **قلت**: انظر: الآثار الواردة في تفسير ابن جرير الطبري (٣٠٠/٦، ٣٠١).

الله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قبضت عن العطاء، والإنفاق في الخير والبر[١]، ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بالعطاء: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

ومثله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ أي: قبضنا أيديهم عن الإنفَاق في سبيلِ اللهِ بمَوانعَ كالأغْلَال[٢].

وأما قول النبي ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[٣] فإنَّه أراد معنى التمام والكمال؛ لأنَّ كل شيء فمياسرُه تَنْقصُ عن ميامِنه في القوة، والبطشِ والتمامِ.

وكانت العربُ تحبُّ التَّيامُنَ وتكره التياسرَ لما في اليمين من التَّمام، وفي اليسار من النَّقص، وكذلك قيل: اليُمن، والشُّؤم، فاليُمن من[٤] اليد اليمنى، والشُّؤم من[٥] اليد الشُّؤمى، وهي الشِّمال[٦] وقالوا فلان ميمُون من اليمين، ومشئُوم من الشؤمى وهي

---

(١) أخرج الطبري (٣٠١/٦)، وابن أبي حاتم (١١٦٨/٤) **بسند لا بأس به** عن الضحاك بن مزاحم، قال: «﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أُمسكت أيديهم عن النفقة والخير».

(٢) أخرج ابن جرير في تفسيره (١٥١/٢٢) **بسند واهٍ** عن ابن عباس: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ قال: «هو كقول الله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير».

ولكن ثبت عن قتادة أنه قال: «أي: فهم مغلولون عن كل خير». أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢٤٦١)، والطبري (١٥٢/٢٢)، كلاهما **بسند صحيح**.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في المطبوع: [في]، وهو تحريف.

(٥) في المطبوع: [في]، وهو تحريف.

(٦) وقع في المطبوع: [الشمال]! والصواب ما أثبتناه.

الشِّمال.

وقال رسول الله ﷺ في الإبل: «إِنْ أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ، وَإِنْ أَقْبَلَتْ أَدْبَرَتْ، وَلَا يَأْتِي نَفْعُهَا مِنْ جَانِبِهَا الْأَشْأَمِ»[١] يعني: الأيسر، ويمكن أيضًا: أن يريد العطاء باليدين جميعًا؛ لأنَّ اليُمنى هي المعطية، فإذَا كانَت اليدانِ يمينين كان العطاءُ بهما.

قال رسول الله ﷺ: «يَمِينُ اللهِ سَحَاءُ[٢]؛ لَا يَغِيظُهَا شَيْءٌ، اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»[٣]. أي: تصب العطاء ولا ينقصها ذلك، وإلى[٤] هذا المعنى ذهب المَرَّارُ حيث يقول:

وَإِنْ عَلَى الْآوَانَةِ مِنْ عُقَيْلٍ فَتًى كِلْتَا الْيَدَيْنِ لَهُ يَمِينُ

[مسألة][٥]: وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ إنَّ الرَّوحَ هو الأمر، أيُّ: أمرت أن يكون.

واحتجُّوا بقول سلمان[٦] وأبي الدَّرداء: «إنا نقوم فنكبر بروح الله»[٧] أي: بكلامه.

---

(١) ليس له أصل بهذا اللفظ.

(٢) تصحف في المطبوع إلى: [سخاء]، والمثبت هنا هو الصواب، وسحاء: أَي دائمة الصب بالعطاء.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله «يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يُغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغُضْ مَا فِي يَمِينِهِ». قال: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ».

(٤) ليس في المطبوع.

(٥) سقط من المطبوع.

(٦) في المطبوع: [سليمان]!

(٧) لم أقف عليه.

والرَّوح كما ذكرُوا: قد يكون كلام الله في بعض المواضع، نحو قوله تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، وكقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾.

الرَّوح أيضًا: روح الأجسام الَّذي يقبضه الله عند الممات، والروح أيضًا ملك عظيم من ملائكة الله، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ﴾، والروح الرحمة قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ﴾ أي: برحمة، كذلك قال المفسرون(١).

وقال الله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ فمن قرأ بالضم(٢) أراد: فرحمة ورزق، ويقال: فبقاء ورزق، والرَّوح: النَّفخ(٣). سُمِّي روحًا؛ لأنَّه ريح يخرج عن الروح، وأي شيء جعلت الروح من هذه التأويلات فإن (نفخت) لا يحتمل إلا معنًى واحدًا، قال ذو الرمة: وذكر نارًا قدحها.

وقلت له: اِرْفَعْهَا إِلَـيْكَ وَأَحْـيِهَا　　　بِرَوْحِكَ وَاجْعَلْهَا لَهَا مَسَهَ مَـدَرَا(٤)

---

(١) هذا قول مقاتل، كما في تفسيره (٤/٢٦٥-٢٦٦)، ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/٢٠٠).

(٢) نقل القراءة بالضم عن ابن عباس وقتادة، والحسن، ويعقوب في رواية رويس، وقال الإمام الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢١١-٢١٢): «واختلف القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء، بمعنى: فله برد. ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يقول: ورزق واسع في قول بعضهم، وفي قول آخرين فله راحة وريحان وقرأ ذلك الحسن البصريّ: ﴿فَرُوحٌ﴾ بضمِّ الراء، بمعنى: أن روحه تخرج في ريحانة. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالفتح؛ لإجماع الحجة من القرَّاء عليه، بمعنى: فله الرحمة والمغفرة، والرزق الطيب الهني».اهـ

(٣) في المطبوع: [النفح]!

(٤) في المطبوع: [واقتته قيتة قدرًا].

يقول: أحيي النَّار بنفخك. فنحن نؤمن بالنفخ وبالروح ولا نقل: كيف ذلك؟ لأنَّ الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفته، أو حيث انتهى رسوله ﷺ، ولا نزيل اللَّفظ عمَّا تعرفه العربُ به وتضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك.

وقالوا في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ أي: منتظرة[1]، والعرب تقول: نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد، ومنه قول الله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي: انتظرونا، وقال الحطيئة:

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ عَاشِيَةً لِلْخَمْسِ[2] ... طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَانِي

أي: انتظرتكم. وما نُنكرُ أن نظرت قد يكون بمعنى: انتظرْت، وأنَّ النَّاظرَ قدْ يكونُ بمعنى: المنتظرُ.

غير أنه يقال: أَنَا لك ناظر، أي: أنا لك منتظر، ولا يقال: أنا إليك ناظر، أي: إليك منتظر، إلا أن يريد نظر العين، والله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ ولم يقل: لربها ناظرة فيحتمل ما تأولوا.

فأمَّا دفعُهم نظرَ العينِ بقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ وبقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾، فإنه أراد ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في الدُّنيا وأراد ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ في الدنيا؛ لأنَّه تعالى احتجبَ عن جميع خلقِهِ في الدُّنيَا، وتجلَّى لهم يوم الحسَاب، ويوم الجزَاء، والقِصَاص فيرونُه كمَا يرى القمرُ في ليلةِ

(١) انظر: كلام المصنف في تأويل مختلف الحديث (ص٣٩٢ ـ ٣٩٥ وص٤٠٧ وما بعدها).
(٢) في المطبوع: [إينا صادرة للحمس].

البدرِ(١) لا يختلفون فيهِ، كما لا يختلفون في القمرِ، ولم يقعْ التَّشبيه كما على حالات القمر في التدوير، والمسير والحدود، وغير ذَلِكَ، وإنَّما وقع التَّشبِيهُ بها في أن إدراكَهُ يوم القيامة، كإدراكنا القمر ليلة البدر لا يُختلَفُ في ذلك، كما لا يختلف في هذا، والعربُ تضربُ بالقمرِ المثَلِ في الشهرةِ [والظُّهور](٢).

وقال ذو الرمة(٣):

فَقَدْ بَهَرَتْ فَمَا تُخْـفَى عَلَى أَحَـدٍ ... إِلّـا عَـلَى أَحَـدٍ لَـا يَعْرِفُ الْقَمَرَ

ويقولون: هذا أَبيَن من الشمس، ومن فَلْقِ الصُّبح، وأشهرُ من القمرِ، **وحديث رسول الله ﷺ قاضٍ على الكتاب، ومفسرٌ له.**

والخبر في الرؤية ليس من الأخبار التي يدفعها إلا جاهل، أو معاند ظالم، لتتابع الروايات به من الجهَات الكثيرةِ عن الثقات(٤).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري(٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

(٢) ليس في المطبوع.

(٣) ديوانه (ص١٩١).

(٤) يشير المصنف رحمه الله إلى أن أحاديث الرؤية متواترة، وهي كذلك، فقد روى عن النبي ﷺ في الرؤية خمسة عشر صحابيًا، وثبتت الكثير من النقولات في إثبات الرؤية عن أبي بكر وحذيفة والحسن وغيرهم من السلف، ومن العلماء من صنف تصانيف ومن أشهر هذه التصانيف: كتاب الدارقطني، وكتاب الآجري. =

فلما قال الله ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، وجاء عن رسول الله ﷺ: «تَرَوْنَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)] لم يخف على ذي نظرٍ أنَّه في وقتٍ دون وقتٍ. وفي قول موسى عليه السلام أيضًا: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ أبين الدلالة بأنَّه يرى في القيامة، ولو كان اللهُ لا يُرى في حال من

= قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: «هذه [يعني أحاديث الرؤية] عندنا حق، نقلها الناس بعضهم عن بعض». رواه الآجري في الشريعة (٥٨١) **بسند صحيح**.

وقال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله عقب هذا الكلام: «فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم، وخالف الكتاب والسنة، ورضي بقول جهم وبشر المريسي وبأشباههما، فهو كافر، فأما ما تأدى إلينا من التفسير في بعض ما تلوته مما حضرني ذكره: فأنا أذكره إن شاء الله، ثم أذكر السنن الثابتة في النظر إلى الله تعالى، مما يقوى به قلوب أهل الحق، وتقر به أعينهم، وتذل به نفوس أهل الزيغ، وتسخن به أعينهم في الدنيا والآخرة».

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢٠٨/١) بعدما ذكر طرفاً من أدلة أهل السنة والجماعة على رؤية المؤمنين ربهم: «وَأَمَّا مَنْ أَبَى إِلَّا تَحْرِيفَهَا بِمَا يُسَمِّيهِ تَأْوِيلًا، فَتَأْوِيلُ نُصُوصِ الْمَعَادِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ، أَسْهَلُ مِنْ تَأْوِيلِهَا عَلَى أَرْبَابِ التَّأْوِيلِ. وَلَا يَشَاءُ مُبْطِلٌ أَنْ يَتَأَوَّلَ النُّصُوصَ وَيُحَرِّفَهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا إِلَّا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ مِنَ السَّبِيلِ مَا وَجَدَهُ مُتَأَوِّلُ هَذِهِ النُّصُوصِ».

قال ابن القيم في حادي الأرواح (ص٢٠٢): «اتَّفقَ عليها الأنْبِياء، والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرَها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الَّذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرَّافضة الَّذين هم بحبائل الشيطانِ متمسكون ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبَّة أصحاب رسول الله عَاكِفون، وللسُّنة، وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون أولئك أحزاب الضَّلال وشيعةُ اللعين وأعداء الرسول وحزبه».

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢)، وقد أورده المصنف هنا بالمعنى.

الأحوال، ولا يُجوز عليه النظر، لكان موسى قد خُفِيَ عليه من صفات الله ما علموه.

ومن قال: **إنَّ الله يدرك بالبصر يومَ القيامة فقد حده عندهم**، ومن كان الله عنده **محدودًا** فَقد شبهه بالمخلوقين، ومن شبهه عندهم بالخلق فقد كفر.

فما نقول في موسى فيما بَيَّنَ أن نبأه الله ﷺ، وكلَّمه من الشجرة، إلى الوقتِ الّذي قال له فيه: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، أَنَقْضِي عليه بأنَّه كان مشبهًا لله **محددًا**؟!

لا لعمر الله **ما يجوز أن يجهل موسى من الله مثل هذا!** لو كان على تقديرهم، ولكن موسى علم أنَّ الله يُرى يوم القيامة؛ فسأل الله أن يجعل له في الدنيا ما أحلَّه لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة، فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يعني: في الدُّنيا، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ أعلمه أن الجبل لا يقوم لتجلِّيه، حتَّى يصيرَ دكًّا، وأنَّ الجبالَ إذا ضعُفت عن احتمال ذلك فابن آدم أحرى أن يكون أضعف إلى أن يعطيه الله يوم القيامة ما يقوى به على النظر، ويكشف عن نظره الغطاء الذي كان في الدنيا، فيصير بعد الكلال[(١)] حديدًا.

والتجلي هو: الظهور، ومنه يقال: جَلَوت المرآة والسيف، إذا أظهرتهما من الصدإِ، وجلوتَ العروسَ: إذا أبرزتها[(٢)].

---

(١) قال في اللسان (١٢/١٤٢): «والكَلُّ: قفا السيف والسكين الذي ليس بحاد، وكَلّ السيفُ والبصرُ وغيره من الشيء الحديد، يَكِلُّ كَلًّا وكَلَّة وكلالة وكُلولَة وكُلولًا وكللًا وكَلَلَ فهو كليل وكَلٌّ: لم يقطع، وطرف كليل إذا لم يحقق المنظور».

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح (الباب الخامس والستون) (ص٢٠٣): «بيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:
=

- **أحدها**: أنه لا يظنُّ بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أنْ يَسألَ ربَّه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطلِ، وأعظم المحالِ، وهو عند فروخ اليونانِ والصابئةِ والفرعونيةِ بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، فيا لله العجب كيف صار أتباع الصابئة، والمجوس، والمشْركين عباد الأصنام، وفُروخ الجهمية، والفرعونية، أَعلم بالله -تعالى- من موسى بن عمران، وبِمَا يستحيلُ عليهِ ويجب له وأشد تنزيهًا له منه.
- **الوجه الثَّاني**: أن الله ﷻ لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالًا لَأَنْكره عليه، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليلُ ربَّه -ﷻ- أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى ابن مريم ربَّه إنزال المائدة من السماء لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربَّه نجاةَ ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٤٧﴾.
- **الوجه الثالث**: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولم يقل: لا تراني، ولا إنِّي لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه ﷻ يُرى، ولكن موسى لا تحتمل قواهُ رؤيتَه في هذه الدار؛ لضعفِ قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:
- **الوجه الرابع**: وهو قوله: ﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ فأَعلَمه أن الجبل مع قوتِه وصلابَتِه لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟!
- **الوجه الخامس**: أن الله ﷻ قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن، وقد علّق به الرؤية، ولو كانت محالًا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤيا محالا لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقرَّ الجبل فسوفَ آكلُ وأشربُ وأنامُ، فالأمرانِ عندكم سواء.
- **الوجه السادس**: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وهذا من أبين الأدلة على جوازِ رؤيته ﷻ، فإنَّه إذا جازَ أن يتجلَّى للجبلِ الَّذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، =

وقالوا في قوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ أي: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، كما قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ وكما يقول القائلُ: عندِي علمُ ذاك. وهذا كما ذهبوا إليه في احتمال التأويلِ علَى بعدٍ، والله أعلم بما أراده ولكن [عند] تدل على قرب.

وهم يزعمون أنَّ الله – تعالى – لا يكون إلى شيء أقرب منه إلى شيء آخر وأنه على العرش استوَى في الحقيقةِ، مثله في الأرض.

والعجب لقوم لا يؤمنون إلا بما يصح في المعقول، ثم خرجوا من كل معقول بقولهم: إنَّ الله بكلِّ مكان بغير مماسةٍ، ولا مباينة، وبغير موافقة، ولا مفارقة.

= فكيف يمتنع أن يتجلَّى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ وأعلم سبحانه موسى أنَّ الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدَّارِ، فالبَشَر أضعف.

- **الوجه السابع**: أنَّ ربه سبحانه قد كلَّمه منه إليه، وخاطبه وناداهُ وناجاهُ، ومن جازَ عليه التَّكلمُ والتكليم، وأنْ يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلَّا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أنْ يكلِّم أحدًا، أو يراهُ أحدٌ، ولهذا سأله موسى النظر إليه لمَّا أسمعه كلامه، وعلم من اللَّهِ جوازَ رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكنْ أراهُ أن ما سأله لا يقدر على احتماله، كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فإنَّما يدلُّ على النَّفي في المستقبل، ولا يدلُّ على دوام النَّفي؛ ولو قُيِّدت بالتأبيد، فكيف إذا أُطلقت، قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدٗا﴾ مع قوله: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾».اهـ

وقد قال أمية يذكر قرب موسى ﷺ من الله حين كلمه:

وَهُوَ مِنْ أَقْرَبِ الْأَنَامِ إلى اللهِ كَقُرْبِ الْمَدَّادِ لِلْمِنْوَالِ

يقول: وهو كقرب مداد الثوب من الخشبة التي ينسج الثوب عليها.

والله يقول: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ والنَّجِي: بمعنى المناجي. وهو: من كلمك من قرب، كما يقال: جليس مجالس، وأكيل[1] ومؤاكل، وكذلك: كَلِيم الله بمعنى: مكالم الله، وخليل الله بمعنى: مخال الله، قال الله -ﷻ-: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾.

وقال أبو زبيد يذكر رجلًا ساور الأسد:

وَثَارَ عَلَيْهِ إِعْصَارًا ووَهِيجًا نَجِيًّا لَيْسَ بَيْنَهُمَا جَلِيسُ

يريد: أنَّ كلَّ واحدٍ قرَّب من الآخرِ[2].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ كلام ماتع وتفصيل نافع في بيان مسألة القرب، حيث يقول في كتابه «بيان تلبيس الجهمية» (٨/١٧٠ـ١٧٣): «وتقرب الرب إلى عبدِهِ نَوعَان:

- **أحدُهما**: هو من لوازم تقرب العبد إليه، فإنَّه من المعلومِ أنَّ الشيئين إذا تقرَّبَ أحدُهما إلى الآخرِ كانَ من لوازم هذا قرب الآخر إليه، إِذِ القرب من الأمور الإضافية من الجانبين، فيَمتَنع أن يقربَ أحدُهما مِنَ الآخر إلَّا والآخر قد قرَّبَ إليه، لكنْ لا يستلزم هذا أن يكون المُتقَرب إليه قد وجد منه فعل بنفسه يقرب منه، بل يكون قربه هو القرب الَّذي حصلَ بفعل المتقرب، كالشيء المتحرك المتقرب إلى الشيءِ الساكنِ إليه من غير حركة منه، فهذا النَّوع من قرب الربِّ إلى عبدِهِ، وهو تبع لقرب العبد إلى الله، فمن أثبت قرب ذات الله =

= إلى العبد بهذا الاعتبار، وإلَّا فلا.

• **وأما النوع الثاني**: من تقرب الرب إلى العبد: فهو تقربه بفعلٍ يقوم بنفسه، كما ورد لفظ المجيء، والإتيان، والنزول، وغير ذلك، فالكلام على هذا التَّقربِ يؤخر إلى حيث يذكرُ ذلك.

ونتكلم هنا في القرب الأول: فكل من قال: إن الله فوق العرش، قال إنه يمكن التقرب إليه، وأمَّا من قال: إنَّه ليس فوق العرش، قال: إنه في كل مكان بذاته، أو أنَّه لا داخلَ العالمِ، ولا خارجه، فعلى قولِهم يمتنعُ التَّقرب إليه، وهؤلاء منهم من يقول: إنَّه جسم، ومنهم من يقول: ليس بجسم. كما تقدَّم ذكر ذلك عنهم، وقد اعترف بالتقرب إليه نفسه من أقرَّ بأنه فوق السماوات ممن قال: إنَّه ليس بجسم، وممن قال إنه جسم، وممن لم يقل واحدًا من القولين، لا أثبت الجسم ولا نفاه، فتبيَّن أنَّ إثبات التقربِ إليه، ونفيه ليس من لوازم القول بالجسم، بل المثبت له، والنافي منهم من يقول: يتقرب إليه نفسه، والتقرب إليه اسم جنس تحته أنواع، من أثبت نوعًا من تلك الأنواع فقد أثبت التقرب إليه بشيء، وكذلك من أثبت أنه يصعد إليه نفسه بشيء، أو يرتفع إليه بشيء، وكذلك من ذهب إلى أنه تذهب إليه نفسه بشيء. أو تأتيه نفسه بشيء، أو تقف عليه نفسه ونحو ذلك فقد أثبت أنه يتقرب إليه بشيء، وأما من أثبت أنه هو يَجيء ويأتِي، ويتقربُ، فإنه يثبت التقرب إليه بطريق الأولى.

وكل من استدل على أنه فوق العرش بالنصوص المتضمنة لذكر العلو إليه، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ وغير ذلك، فإنه يقول: إنه يتقرب إليه. وكذلك من أثبت أنه يقف عليه شيء، أو يجيئه شيء، أو أن عبده يلقاه، أو يكون بينه وبين خلقه حجاب، ونحو ذلك، فإنه يقول: إنه يتقرب إليه. وفي القرآن مما فيه وصف ذهاب بعض الأشياء إليه نفسه، أو صعودها إليه، أو نزولها من عنده، وما يشبه ذلك نحو خمسمائة آية أو أكثر، وكل ذلك يدل على جواز التقرب إليه. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ وقد تقدم كثير من الآيات التي فيها ذكر لقاء العبد ربه، وكل ذلك يستلزم التقرب إليه، ومن نفى أحدهما نفى الآخر، ومن أثبت أحدهما أثبت الآخر، وهذا يتأولهما النافي على لقاء =

وطلبوا للعرش معنى غير السرير[(١)]:

= مخلوق، والتقرب من المخلوق، وقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ وقال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩٦﴾ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤﴾ وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾».اهـ

(١) حيث زعمت طائفة من الجهمية والمعتزلة والماتريدية وعامة متأخري الأشاعرة كالجويني والغزالي والرازي والآمدي وابن فورك أن معنى العرش في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾، هو الملك.

وهذا تأويل باطل وصرف اللفظ عن معناه إلى معنى آخر لا يحتمله، كما أن الله ﷻ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾، وأخرج البخاري (٢٤١١) ومسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «لا تُخَيِّرُونِي على مُوسى، فإنّ النّاسَ يَصْعَقُونَ فأكُونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ، فَإذا مُوسى باطِشٌ بجانِبِ العَرْشِ، فلا أدْرِي أكانَ، فِيمَن صَعِقَ فأفاقَ قَبْلِي أمْ كانَ مِمَّنِ اسْتَثْنى اللَّهُ».

فهذه الأدلة وغيرها تكذبهم، حيث يظهر جلياً أن العرش غير الملك فالملك شيء معنوي والعرش شيء حسي يلمس، والأدلة كثيرة في هذا كحديث دعاء الكرب الذي رواه البخاري (٦٣٤٥) ومسلم (٢٧٣٠)، وأحاديث أن العرش على الماء، وغيرها.

وزعمت طائفة من أهل الكلام أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سموه الفلك الأطلسي، أو الفلك التاسع، أو الأثير، أو الفلك الأعلى، ومن هؤلاء ابن سيناء الملحد.

والعلماء باللُّغة[١] لا يعرفون للعرش معنى إلَّا السرير[٢]، وما عُرِّش من السقوف

---

(١) وقع في المطبوع: [بالله].

(٢) قال إمام الجهمية في عصره وشيخ متعصبة الحنفية محمد الكوثري الهالك في تحقيقه لهذا الكتاب بعدما ساق من كلام العرب ما يدل على أن للعرش معانٍ غير هذا: «مما يقضي على زعم المصنف ويحمي العربية من أن يجعلها طوع بنانه».اهـ

قلت: أما هؤلاء الحمقى الزنادقة فلا دليل لهم شرعًا ولا لغة بل ولا حتى عقلاً، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كما في مجموع الفتاوى (٥٤٧/٦): «فَإِنَّ أَئِمَّةَ الْفَلَاسِفَةِ مُصَرِّحُونَ بِأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ عِنْدَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ الْفَلَكِ التَّاسِعِ شَيْءٌ آخَرُ؛ بَلْ وَلَا قَامَ عِنْدَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَفْلَاكَ هِيَ تِسْعَةٌ فَقَطْ؛ بَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ دَلَّتْهُمْ الْحَرَكَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ والكسوفات وَنَحْوُ ذَلِكَ عَلَى مَا ذَكَرُوهُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِهِ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لَا ثُبُوتَهُ وَلَا انْتِفَاءَهُ».اهـ

وأُذكر هنا بما رواه البيهقي في مناقب الشافعي (٤٦٢/١)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١١٦/٩) **بسند صحيح** عن الإمام الشافعي ﷺ، أنه قال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام».

فإذا كان هذا حكمه فيمن أعرض عنها فكيف حكمه فيمن عارضها بغيرهما؟! وروى الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٠٥)، **بسند حسن** عن أبي يوسف القاضي ﷺ أنه قال: «من طلب الدين بالكلام تزندق».

فنقول في الرد على هذا المتطاول الوقح: قد علمنا جهلك مسبقًا فلا عجب أنك لم تفكر حتى في وضع هذه المعاني التي ذكرتها وزعمت أن جميعها تصلح لتكون معنىً للعرش الوارد في الشرع، وأخذت تتباكى في توجع من كلام المصنف، لم تفكر حتى في وضعها مكان =

وأشباهها.

وقال أُميَّة بن أبي الصلت:

مَجِّدُوا اللهَ وَهُوَ لِلْمَـــجْدِ أَهْلٌ   رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَـــــــى كَبِيرًا
بِالْـبِـنَاءِ الْأَعْـلَى الَّـذِي سَبَقَ النَّا   سَ وَسَـوَّى فَـــوْقَ السَّمَاءِ سَـــرِيرًا
شَـرْجَعًا لَا يَنَالَهُ بَـــــصَـــرُ الْعَيْـ   ـنِ تَرَى دُونَهُ الْـمَلَائِكَ صُـورًا[(١)]

وطلبوا للكرسي غير ما نعلم[(٢)]، وجاءوا بشطرِ بيتٍ لا يعرف ما هو، ولا يدرى من

= كلمة العرش الواردة في القرآن والسنة، والكلمة يعرف معناها بحسب ما تضاف إليه كما هو مقرر عند أهل اللغة، والمعنى المقصود من عرش الرحمن، هو سرير الملك لا غير.

قال الإمام ابن القيم ﷺ في *مختصر الصواعق* (١/١٧-١٨): «ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه إلا معنى واحد، وإن كان للعرش من حيث الجملة عدة معانٍ، فاللام للعهد، وقد صار بها العرش معينًا، وهو عرش الرب تعالى الذي هو سرير ملكه، التي اتفقت عليه الرسل، وأقرت به الأمم إلا من نابذ الرسل».

(١) ديوان أمية (ص٣٩٩-٤٠٠).

(٢) قال الراغب الأصفهاني: «الكرسي في تعارف العامة اسم مما يقعد عليه قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾». هذا في اللغة؛ وفي الاصطلاح الأصواب هو ما صح عن ابن عباس موقوفًا أنه قال: «الكرسي موضع القدمين»، أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (٦١)، وابن خزيمة (١٥٤، ١٥٥، ١٥٦)، والدارمي في الرد على المريسي (١/ ٣٩٩ – ٤٠٠، ٤١٢، ٤٢٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٨٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (٢/٤٩١)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٠٤)، والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٨٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٨)، **بسند صحيح**. =

= وقالت الجهمية: بأن الكرسي هو علم الله متبعين في هذا إمامهم بشر المريسي الجهمي المارق، واستدلوا بأثر رُوي عن ابن عباس في هذا، قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في نقضه على بشر المريسي (ص١٥٢): «ثُمَّ انْتَدَبْتَ أَيُّهَا المَرِيسِيُّ مُكَذِّبًا بِعَرْشِ اللهِ وَكُرْسِيِّهِ، مُطْنِبًا فِي التَّكْذِيبِ بِجَهْلِكَ، مُتَأَوِّلًا فِي تَكْذِيبِهِ بِخِلَافِ مَا تَعْقِلُهُ العُلَمَاءُ.

فَرَوَيْتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَعلمه».

قُلْتَ: فَمَعْنَى الكُرْسِيِّ: العِلْمُ، فَمَنْ ذَهَبَ فيه إِلَى غَيْرِ العِلْمِ أَكْذَبَهُ كِتَابُ الله تَعَالَى.

فَيُقَالُ لِهَذَا المَرِيسِيِّ: أَمَّا مَا رَوَيْتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَإِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ جَعْفَرٍ الأَحْمَرِ، وَلَيْسَ جَعْفَرٌ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَى رِوَايَتِهِ، إِذْ قَدْ خَالَفَتْهُ الرُّوَاةُ الثِّقَاتُ المُتْقِنُونَ. وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ البَطِينُ، عَنْ سَعِيدِ بن جُبَير، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الكُرْسِيِّ خِلَافَ مَا ادَّعَيْتَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ»، ثم روى أثر ابن عباس بسنده.

وأتبعه قائلاً: «فَأَقَرَّ المَرِيسِيُّ بِهَذَا الحَدِيثِ وَصَحَّحَهُ، وَزَعَمَ أَنَّ وَكِيعًا رَوَاهُ، إِلَّا أَنَّ تَفْسِيرَ القَدَمَيْنِ هَاهُنَا فِي دَعْوَاهُ: الثَّقَلَيْنِ قَالَ: يَضَعُ اللهُ عِلْمَهُ، وَقَضَاءَهُ لِلثَّقَلَيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَحْكُمُ بِهِ فِيهِمْ.

فَهَلْ سَمِعَ سَامِعٌ مِنَ العَالَمِينَ بِمِثْلِ مَا ادَّعَى هَذَا المَرِيسِيُّ؟

وَيْلَكَ! عَمَّنْ أَخَذْتَهُ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْطَانٍ تَلَقَّنْتَهُ؟ فَإِنَّهُ مَا سَبَقَكَ إِلَيْهَا آدَمِيٌّ نَعْلَمُهُ. أَيَحْتَاجُ الرَّبُّ ﷻ أَنْ يَضَعَ مُحَاسَبَةَ العِبَادِ عَلَى كِتَابِ عِلْمِهِ، وَأَقْضِيَةٍ يَحْكُمُ بِمَا فِيهِ بَيْنَهُمْ؟ وَلَا أَرَاكَ مَعَ كَثْرَةِ جَهْلِكَ إِلَّا وَسَتَعْلَمُ أَنَّكَ احْتَجَجْتَ بِبَاطِلٍ، جَعَلْتَهُ أُغْلُوطَةً تُغَالِطُ بِهَا أَغْمَارَ النَّاسِ وَجُهَّالَهُمْ».اهـ

قلت: أما أثر ابن عباس، فأخرجه الطبري في تفسيره (٩/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ رقم٢٥٩٩)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٢١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦٧٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٣) من طريق مُطَرفٍ عن عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس قال: «كُرْسِيُّهُ: عِلْمُهُ».

قلت: فيه جعفر بن أبي المغيرة: هو القمي، ذكره ابن حبان في ثقاته ونقل عن أحمد =

قائله. وَلَا بُكُرْسِيءٍ عِلْمُ اللهِ مَخْلُوقٌ، والكرسي غير مهموز بإجماع الناس جميعًا وبكرسيء مهموز.

وقالوا في قول الله ﷻ: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ أي: من طين.

وجاءوا ببيت لا يعرف ولا يدرى من قاله:

وَالْحَبُّ يَنْبُتُ بَيْنَ الْـمَاءِ وَالْعَجَلِ ....

لما اشتبه عليهم قوله: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ تمحَّلُوا له هذه الحيلة، وهذا من

= توثيقه، وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «كان صدوقًا». ولكن قال ابن منده: «ليس بالقويّ في سعيد بن جبير». فلأجله ضُعف هذا المتن، ولمخالفته للثابت عن ابن عباس.

ومن هنا نعلم خطأ الكوثري حيث قال في تحقيقه: «تفسير الكرسي بالعلم مروي عن ابن عباس بسند يحول ابن قتيبة على ما هو ليس بأحسن شأنا منه»اهـ.

تنبيه: وقد رجح ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/٣) القول بأن الكرسي هنا هو العلم، مستندا على أثر ابن عباس، واستدل بأنّ أصل الكرسيّ: العِلْمُ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها عِلمٌ مكتوبٌ: كُرّاسةٌ، واستدل ببيت من الشعر، وأنه يقال للعلماء: الكراسيّ. وقد وقع في كلامه تناقض تكلم عليه وبين عدم أرجحية قوله، العلامة الشيخ أبو فهر محمود شاكر ؒ في تعليقه على التفسير (٤٠١/٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١/ ٦٨٧): «وقد نُقِل عن بعضهم: أن ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾: علمه. وهو قول ضعيف؛ فإنّ علم الله وسع كل شيء كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾. والله يعلم نفسه، ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السموات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسبًا؛ لا سيما وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: لا يُثْقِلُه ولا يَكْرُثُه، وهذا يناسب القدرة لا العلم، والآثار المأثورة تقتضي ذلك».

المقدم والمؤخر، أراد: خلق العجل من الإنسان، ومثله كثير.

ونزهوا الله فيما زعموا عن أن يكون خليلًا لمخلوق(١)؛ لأنَّ الخلة: الصداقة، فقالوا في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ أي: اتخذه فقيرًا إليه، وجعلوه من الخَلة بنصب الخاء، واحتجوا بقول زهير:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ ... يَقُولُ لَا غَائِبَ مَا لِي وَلَا حَرَمٍ

أي: فقير. فقبحًا لهذه العقول، وهذا النظر، أما سمعوا ويحهم بإجماع الناس جميعًا: على أن الخُلَّة -بضم الخاء- لإبراهيم، وعلى أنَّ موسى كليم الله، وإبراهيم خليل الله(٢)، وعيسى روح الله، فإن كان معنى خليل الله: الفقير إلى الله، فأيُّ فضيلة لإبراهيم في

---

(١) **صفة الخلة**: صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة، أما من الكتاب فالآية السابقة، وأمَّا من السُّنَّة فما أخرجه مسلم (٢٣٨٣)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَوْ كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ».
قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٥/٧١-٨٠): «قال الإمام أبو عبدالله محمد بن خفيف في كتابه الَّذي سماه «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات» ونعتقد: أن اللهَ اتَّخذ إبراهيم خليلًا واتخذ نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم خليلًا وحبيبًا، والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة الفقر والحاجة. إلى أن قال: والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوفٌ بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائزٌ عليها الكيف؛ فأما صفاته تعالى فمعلومةٌ في العلم وموجودةٌ في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجبٌ، واسم الكيفية عن ذلك ساقطٌ».اهـ

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (النساء:١٢٥): «سُمي خليل الله لشدة محبة ربه عز وجل له، لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها».

هذا القول، إذ كان الناس جميعًا فقراء إلى الله؟

والعجب لهم كيف لم يقولوا في قول الناس: موسى كليم الله: إنَّه جريح الله، من الكَلْمِ، أو من معنًى آخر؟! ما منعهم من ذلك إلا أن الله يقول: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ فضاق عليهم الاحتيال.

وما أشبه هذا بقولهم في: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ أي: بَشَمَ من أكل الشجرة، وذهبوا إلى قول العرب: غوى الفصيل إذا اتَّخم، وهذا: غوي يغوى غويًّا، وذلك غوى يغوِي – بكسر الواو – غيًّا، ولو وجدوا في: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾ مثل هذا التأويل أيضًا لقالوه.

وقالوا في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ أنه استولى[1]، وليس يُعرف في

---

(١) ظهر هذا القول في أوائل القرن الثاني الهجري حين أظهر الجعد بن دهم إنكار صفة الاستواء، فقالت الجهمية والمعتزلة والحرورية والماتريدية، وكثير من متأخري الأشَاعرة كالآمِدي والغَزالي وغيرهما، انظر: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (٢/ ٣١٨)، ومجموع الفتاوى (٥/٩٦)، ومختصر الصواعق (٢/١٤٤).

واستدلوا على ذلك ببيت منسوب للأخطل، في مدح بشر بن مروان، حيث يقول:

قد استـــوى بشـــر على العـــراق ... من غـــيـــر سيـــف ولا دم مهراق

أي: استوى، عليهم من وجوه:

- **الأول**: أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من الصحابة والتابعين، ولم يروى عن أحد منهم بسند ضعيف أو موضوع حتى.
- **الثاني**: الذين قالوا هذا التفسير لم ينقلوه عمن اعتمد، وإنما هو محض تخمين، ولو كان معقولا في اللغة التي نزل بها القرآن لعُلم في القرآن، بل قد أنكر الخليل أن يكون =

= في اللغة استوى بمعنى استولى. انظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٥).

- **الثالث**: أن هذا البيت الذي استدلوا به لم يثبت في نقل صحيح أنه من شعر العرب، فهو مصنوع، وأنكره أهل اللغة، وهو غير معروف من دواوين العرب وأشعارهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ كما في مجموع الفتاوى (١٤٦/٥): «وَلَمْ يَثْبُتْ نَقْلٌ صَحِيحٌ أَنَّهُ شِعْرٌ عَرَبِيٌّ وَكَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا: إنَّهُ بَيْتٌ مَصْنُوعٌ لَا يُعْرَفُ فِي اللُّغَةِ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ احْتَجَّ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَاحْتَاجَ إلَى صِحَّتِهِ فَكَيْفَ بِبَيْتٍ مِنْ الشِّعْرِ لَا يُعْرَفُ إسْنَادُهُ وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ أَئِمَّةُ اللُّغَةِ».
- **الرابع**: كيف يحتج هؤلاء بمثل هذا البيت المصنوع، وهم في حديث رسول الله ﷺ لا يقبلون خبر العدل الثبت الثقة (الآحاد)؟ فلو استدل مُسْتَدِلٌّ بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلَقِّيهِ بالقبول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع، منسوب إلى الأخطل، وليس في ديوانه.
- **الخامس**: أن قائله وهو الأخطل نصراني، والنصارى ضلوا في معاني الاستواء والعلو والصفات بشكل عام، أَفَيُسْتَدَلُ بقول نصراني ضال على معنى الاستواء، وَيُتْرَكُ ما يُعْلَمُ من معنى الاستواء في لغة العرب؟!

السادس: قال الشيخ ابن عثيمين ﵀ في شرح العقيدة الواسطية (٣٧٧/١): «يَلْزَمُ عليه [أي على هذا القول] لوازم بَاطِلَةٌ: أينَ المَفَرُّ والإلهُ الطَّالِبُ...وَالأَشْرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبُ

١- يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ حِينَ خَلَقَ السماواتِ والأَرضَ ليس مُسْتَوليا على عَرْشِهِ؛ لأَنَّ اللَّهَ يَقولُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ و﴿ثُمَّ﴾ تُفِيدُ التَّرتيبَ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ العَرْشُ قَبْلَ تَمَامِ خَلْقِ السماواتِ والأَرضِ لغيرِ اللهِ.

٢- أنَّ الغَالِبَ مِنْ كَلِمَةِ (اسْتولَى) أَنّها لَا تَكُونُ إلا بَعْدَ مُغَالَبَةٍ! ولا أحد يُغَالِبُ الله.

أيـنَ الـمَـفَـرُّ والـإلـهُ الطَّـالِـبُ   وَالـأَشْـرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبُ

٣- مِنَ اللوازم البَاطِلَةِ أَنَّهُ يَصِحُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الأَرضِ والشَّجَرِ =

اللُّغة استويت على الدار أي: استوليت عليها؛ وإنَّما استوى في هذا المكان: استقر، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: استقررت، وقد يقول الرجل لصاحبه إذا رآه مستوفزًا: (استو) يريد: (استقر).

وأما قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: فإنَّه أراد: عمد لها وقصد، فكل من كان في شيء ثم تركه لفراغ، أو غير فراغ، وعمد لغيره، فقد استوى إليه، فهذا مذهب القوم في تأويل الكتاب بآرائهم وعلى ما أَصَلُّوا من قولهم.

وأمَّا حديث رسول الله ﷺ فإنَّهم اعترضوه بالنظر، فما كان له وجه في النَّظر من هذه الجهة صدقوا به، وما لم يكن له مخرج ردوه، واستشنعوه، وأكذبوا[١] ناقليه، ولم يلتفتوا إلى صحيح من الحديث، ولا سقيم.

فآمنوا بمثل قول النَّبي ﷺ: «إِنَّ قَلْبَ الْـمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»[٢]؛ لأنَّه عندهم يحتمل المخرج في اللُّغة، وقالوا: الأصبع النعمة[٣]، يذهبون إلى قول الراعي:

= والجِبَالِ؛ لأنه مُستول عليها.

وهذه لوازم باطلة، وبُطلَانُ اللازم يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ المَلْزُوم»اهـ.

(١) في المطبوع: [وكذبوا].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) **صفة الأصابع**: من الصفات الذاتية الحقيقية الله تعالى كما يليق به لا يشبهه شيء من مخلوقاته، وكذا لا يشبه شيئًا منها. وهي صفة ثابتة في السنة الصحيحة، وانظر أدلة أخرى على إثباتها عند الأئمة الذين صنعوا أبوابًا على إثباتها، كابت خزيمة في كتاب التوحيد، والآجري في الشريعة.

ضَعِيفُ الْعَصَا بَادِي الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَـا أَمْحَلَ النّاسُ إِصْبَـعًا

أي: ترى له [عليها][(١)] أثر حسنًا. وكقول الطفيل يصف فحل إبل:

كُمَيْتٌ كَبِكْرِ النّـابِ أَحْيَـا بِنَـابِهِ مَقَالِــيــتِهَا وَاسْتَحْمَلَـتْـهُنّ إِصْبَعٌ

يقول: لما ضرب في الإبل هذا الفحل عاشت أولادها، وكانت قبل ذلك مقاليت لا يعيش لها ولد.

وقوله: «واستحملتهن إصبع»، أي: ظهر عليهن أثر حسن من المرعى، والعرب تقول: «ما أحسن إصبع فلان على ماله».

ومن تدبَّر هذا التأويل، وجدَهُ لا يُشاكل ما تقدم من قول النبي ﷺ في هذا الحديث؛ لأنَّه قال في دعائه: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكِ» فقالت له إحدى أزواجه: أَوَ تَخَافَ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى نَفْسِكَ؟! فقال: «إِنَّ قَلْبَ الْـمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ»[(٢)].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) **صحيح لغيره**: يشير المصنف رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها الَّذي أخرجه أحمد (٩١/٦)، والنسائي (٧٧٣٧) من طريق الحسن عنها، والحسن لم يسمع منها.

وأخرجه أحمد (٢٥٠/٦-٢٥١)، وأبو يعلى (٤٦٦٩) وفيه علي بن زيد عن أم محمد، وعلي بن زيد ضعيف، وأم محمد مجهولة، لكن الحديث صحيح لغيره لشواهده، منها: حديث أنس رضي الله عنه عند الترمذي (٢١٤٠)، **بسند حسن**، وحديث سبرة بن فاتك عند الطبراني في الكبير (٦٥٥٧)، **وسنده صحيح**.

فلو كان قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الله لكان القلب محفوظًا بتينك النعمتين، فلأي شيء دعا بالتثبيت، وَلَمْ يحتج على المرأة الَّتي قالت له: أتخافُ على نفسِك. يؤكدُ قولها، وكان ينبغي أنْ لَا يخاف إذا كان القلب محروسًا بنعمتين.

وأنكروا الحديث الآخر: «يَحْمِلُ الْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعِهِ وَكَذَا عَلَى إِصْبَعٍ، وَكَذَا عَلَى إِصْبَعٍ»[(١)]؛ لأنَّ الإصبع هاهنا لا يجوز أن تكون النعمة.

وقالوا في الضحك[(٢)]: هو مثل قول العرب: ضحكت الأرض بالنَّباتِ: إذا طلع فيه

---

(١) **متفق عليه**: يشير المصنف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٥، ٣٠٦)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾».

(٢) **صفة الضحك**: صفة فعلية خبرية حقيقية ثابتة الله تعالى كما يليق به عز وجل بصحيح سنة رسول الله ﷺ، وإجماع سلف الأمة. فأهل السنة يثبتونها؛ لأنه ورد فيها عدة أحاديث صحيحة؛ فيجب إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه، مع الاعتقاد الجازم بأنها لا تشبه صفة المخلوقين؛ ولأن الضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قُدِّر حَيَّان، أحدهما يضحك مما يُضْحَكُ منه، والآخر لا يضحك قط، كان الأول أكمل من الثاني، وقد وردت أحاديث كثيرة تثبت هذه الصفة الله تعالى فمن ذلك: ما أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ الله فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ».

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (٢/ ٥٦٣): «نؤمن بأنه =

ضروب الزهر، وضحكت الطَّلعةُ: إذا انفتَقَ كافورُها عن بياضِها، وضحك المزن: إذا لمع فيه البرق، وليس من هذه شيء إلا وللضَّحِكِ فيه معنًى حدث، فإن كان الضحك الَّذي فرُّوا منه فيه تشبيه بالإنسان، فإنَّ في هذا تشبيهًا بهذه المعاني.

ولما رأى قومٌ من النَّاس إفراط هؤلاء في النَّفي عارضوهم بالإفراط في التَّمثيل، فقالوا بالتَّشبِيه المحضِ وبالإقطارِ، والحدودِ، وحملُوا الألفاظَ الجائية في الحديث على ظاهرها، وقالوا: بالكيفية فيها، وحملوا من مستشنع الحديث عرق الخيل(١)، وحديث

= يضحك ﷻ إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصدقون بذلك بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه».اهـ

وقال الإمام الآجري في الشريعة (١٠٥١/٢): «وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به: أن الله ﷻ يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ، وعن صحابته رضي الله عنهم، فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق».

(١) **حديث باطل موضوع**: يشير المصنف رحمه الله إلى ما أخرجه الجوزقاني في الأباطيل (٥٦/١-٥٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٣١) عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله مم ربنا؟ فقال: «من ماء مرور لا من أرض ولا من سماء، خلق خيلاً فأجراها، فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق»

ثم قال: هذا حديث لا يشك في وضعه، ووضع مثل هذا مسلم، وإنه لمن أرك الموضوعات وأبردها؛ إذ هو مستحيل؛ لأن الخالق لا يخلق نفسه، وقد اتهم علماء الحديث بوضع هذا الحديث محمد بن شجاع.

ثم أسند عن ابن عدي في الكامل (٢٢٩٣/٦): محمد بن شجاع البلخي متعصب كان يضع أحاديث في التشبيه ينسبها إلى أصحاب الحديث يثلبهم بها، منها حديث الفرس. وسئل أحمد بن حنبل عنه فقال: مبتدع صاحب هوى. =

عرفات[١]، وأشباه هذا من الموضوع ما رأُوا أن الإقرار به من السُّنَّة وفي إِنْكارِهِ الرَّيبةُ وكلا الفرِيقين غالطٌ **وقد جعل الله التوسط منزلة العدل**، ونهى عن الغلو فيما دون صفاته من أمر ديننا فضلًا عن صفاته، ووضع عنَّا أن نفكر فيه كيف كان؟ وكيف قدر؟ وكيف خلق؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا.

وعدل القول في هذه الأخبار؛ أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها، فنؤمن:

١- بالرؤية.

٢- والتجلي.

= وقال الفزاري: محمد بن شجاع كافر. وقال أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الحافظ: محمد بن شجاع كذاب لا تحل الرواية عنه لسوء مذهبه وزيغه في الدين. ثم في مثل هذا الحديث أبو المهزم واسمه يزيد بن سفيان البصري. قال سعيد: رأيته، ولو أُعْطَى درهمًا لوضع خمسين حديثًا. وقال يحي بن معين: ليس حديثه بشيء. وقال النسائي: هو متروك.

(١) **حديث موضوع**: موضوع، أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٦٣) عن أسماء قالت: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي لأِعْلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ عَلَيْهِ إِرْزَانِ وَهُوَ يَقُولُ: قَدْ سَمِعْتُ، قَدْ غَفَرْتُ إِلَّا الْـمَظَالِمَ، فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةَ الْـمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْصَرِفُ النَّاسُ إِلَى مِنَى».

وفي لفظ آخر: «يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَقَدْ قَعَدَ مَعَهُ الْـمَلَائِكَةُ».

قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يشكُّ أحدٌ في أنَّه موضوع محال، لا يحتاج لاستحالته أن ينظرَ في رجاله، إذ لو رواه الثقات كان مردودًا، والرَّسولُ منَزَّه أن يحكي عن الله ما يستحيل عليه، وأكثر رجاله مجاهيل، وفيهم ضعفاء».

ثم روى بسنده عن ابن منده أنه قال: «حديث الجمل باطل موضوع على رسول الله ﷺ، لم يروه أحد ممن يوثق به».اهـ.

٣- وأنه يعجب[١].

٤- وأنه ينزل إلى السَّماء[٢].

---

(١) **صفة العجب**: صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح.

أما من الكتاب:

١- فقوله: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢﴾ في قراءة بضم التاء، وممن قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وعامة قراء الكوفة، كما في المبسوط في القراءات العشر (ص٣١٥)، وتفسير الطبري (٢٣/٤٣-٤٤)، وثبتت عن ابن مسعود عند الحاكم (٢/٥٠٥)، والبيهقي (١/ ٤١٥).

قال ابن جرير: «والصَّواب: أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»اهـ.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾، أخرج الطبري في تفسيره (١٣/١٠٤)، وابن أبي حاتم (٧/٢٢٢٢) **بسند صحيح** عن قتادة: «قوله: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ﴾ إن عجب يا محمد فعجب قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ عجب الرحمن -تبارك وتعالى- من تكذيبهم بالبعث بعد الموت».

وأما من السنة:

١- فما أخرجه مسلم (٢٠٥٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وفيه: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِيِّكُمَا اللَّيْلَةَ» وأصله في البخاري (٤٨٨٩)

٢- وأخرج البخاري (٣٠١٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ».

وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/١٨١)، و(٦/١٢٣، و١٢٤)، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة (٢/٤٦٠)، والسنة لابن أبي عاصم (١/١٤٩).

(٢) **صفة النزول**: صفة فعلية ذاتية من صفات الله ثبتت بأدلة متكاثرة في صحيح سنة نبينا محمد

٥- وأنه على العرش استوى.

ﷺ؛ من ذلك ما أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرِ... الحديث».

وأحاديث النزول قد بلغت مبلغ التواتر، قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق (ص٣٨٦): «وحديث النزول رواه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبو هريرة وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود وأبو سعيد الخدري وعمرو بن عبسة ورفاعة بن عرابة الجهني وعثمان بن أبي العاص الثقفي وعبد الحميد بن سلمة عن أبيه عن جده وأبو الدرداء ومعاذ وأبو ثعلبة الخشني وعائشة أم المؤمنين وأبو موسى الأشعري وأم سلمة وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان ولقيط بن عامر العقيلي وعبد الله بن عباس وعبادة بن الصامت وأسماء بنت يزيد وأبو الخطاب وعوف بن مالك وأبو أمامة الباهلي وثوبان وأبو حارثة وخولة بنت حكيم رضي الله عنهم»اهـ.

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة في التوحيد (٢٨٩/١): «باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نَصِف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، أعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك، ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه، من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح: أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا، الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل».

٦- وبالنفس.

٧- واليدين[١].

من غير أن نقول في شيء من ذلك بكيفية، أو بحدٍّ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجو أن نكون في ذلك القول، والعقد على سبيل النجاة غدًا إن شاء الله تعالى.

وقد رأيت هؤلاء أيضًا حين رأوا: غلو الرافضة في حب علي وتقديمه على من قدمه رسول الله ﷺ وصحبته عليه، وادعائهم له شركة النبي ﷺ في نبوته وعلم الغيب للأئمة من ولده وتلك الأقاويل والأمور السرية، التي جمعت إلى الكذب والكفر: إفراط الجهل والغباوة، ورأوا شتمهم خيار السلف، وبغضهم وتبرأهم منهم.

قابلوا ذلك أيضًا بالغلو في تأخير علي -كرم الله وجهه- وبخسه حقه، ولحنوا في القول وإن لم يصرحوا إلى ظلمه، واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق، ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان رضي الله عنه، وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتنة، ولم يوجبوا له اسم الخلافة لاختلاف الناس عليه، وأوجبوها ليزيد بن معاوية لإجماع الناس عليه، واتهموا من ذكره بغير خير.

وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله أو يظهروا ما يجب له، وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح.

وجعلوا ابنه الحسين عليه السلام خارجيًا شاقًّا لعصا المسلمين حلال الدم، لقول

(١) جميع هذه الصفات سبق الحديث عنها والحمد لله رب العالمين.

النبي ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي وَهُمْ جَمِيعٌ، فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ**»[١].

وسووا بينه في الفضل وبين أهل الشورى؛ لأن عمر لو تبين له فضله لقدمه عليهم ولم يجعل الأمر شورى بينهم، وأهملوا من ذكره أو روى حديثًا من فضائله، حتى تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها، وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص، ومعاوية كأنهم لا يريدونهما بذلك وإنما يريدونه.

فإن قال قائل: أخو رسول الله ﷺ علي، وأبو سبطيه الحسن والحسين، وأصحاب الكساء: علي وفاطمة والحسن والحسين[٢]؛ تمعرت الوجوه وتنكرت العيون، وطرت حسائك الصدور، وإن ذكر ذاكر قول النبي ﷺ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»[٣]، و«**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**»[٤]، وأشباه هذا، التمسوا لتلك الأحاديث المخارج ليتنقصوه ويبخسوه حقه؛ بغضًا منهم للرافضة، وإلزامًا لعلي رضي الله عنه بسببهم ما لا يلزمه، وهذا هو الجهل بعينه.

والسلامة لك: أن لا تهلك بمحبته ولا تهلك ببغضته، وألا تحتمل ضغنًا عليه

---

(١) **صحيح**: وقد ذكره المصنف بمعناه، وهو ما أخرجه مسلم (١٨٥٢) عن عرفجة بن شريح قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَن يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**».

(٢) **صحيح**: يشير المصنف رحمه الله إلى ما أخرجه مسلم (٢٤٢٤) عن عائشة قالت: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدٍ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾».

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧١٣)، والطبراني في الكبير (٣ / ١٧٩)، وغيرهما **بسند صحيح**.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، واللفظ له.

بجناية غيره؛ فإن فعلت فأنت جاهل مفرط في بغضه، وأن تعرف له مكانه من رسول الله ﷺ بالتربية، والأخوة، والصهر، والصبر في مجاهدة أعدائه وبذل مهجته في الحروب بين يديه، مع مكانه في العلم والدين، والبأس والفضل، من غير أن تتجاوز به الموضع الذي وضعه به خيار السلف، لما تسمعه من كثير من فضائله؛ فهم كانوا أعلم به وبغيره، ولأَنَّ مَا أجمعوا عليه هو العيان الَّذي لا يشك فيه.

والأحاديث المنقولة قد يدخلها تحريف وشوب، ولو كان إكرامك لرسول الله ﷺ هو الذي دعاك إلى محبة من نازع عليًا وحاربه، ولعنه إذ صحب رسول الله ﷺ، وخدمه، وكنت قد سلكت في ذلك سبيل المستسلم، لأنت بذلك في علي – عليه السلام – أولى لسابقته وفضله، وخاصيته، وقرابته والدناوة التي جعلها الله بينه وبين رسول الله ﷺ عند المباهلة حين قال الله -تعالى-: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ فدعا حسنًا، وحسينًا: ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ فدعا فاطمةَ -عليها السلام-: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فدعا علي –عليه السلام–[(١)] ومن أراد الله تبصيره بَصَّرَهُ ومن أراد به غير ذلك حَيَّرَهُ.

ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب وغايتنا من اختلاف أهل الحديث باللفظ بالقرآن وتشانئهم وإكفار بعضهم بعضًا:

وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة، ولا مما يوجب الوحشة؛ لأنهم مجموعون على أصل واحد وهو: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، في كل موضع، وبكل جهة، وعلى كل

---

(١) **صحيح**: يشير المصنف ﷺ إلى ما أخرجه مسلم (٢٤٠٤) عن سعد بن أبي وقاص: «وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي».

حال، وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه، لغموضه، ولطف معناه، فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه، ولم يكن معهم آلة التمييز، ولا فحص النظارين، ولا علم أهل اللغة(١)، فإذا فكر أحدهم بالقراءة وجدها قد تكون قرآنًا؛ لأن السامع يسمع القراءة، وسامع القراءة سامع القرآن، وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ووجدوا العرب تسمي القراءة: قرآنًا، قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ضَحُّوا بِأَشْمَطٍ عُنْوَانَ السُّجُودِ بِهِ ... يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا

أي: تسبيحًا، وقراءة. وقال أبو عبيد يقال: قرأت قراءة وقرآنًا، بمعنى واحد، فجعلهما مصدرين لقراءة.

وقال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ أي: قراءة

---

(١) ولا يُفهم من كلام المصنف أنه يطعن في أهل الحديث، فقد سبق قوله رحمه الله فيهم، وانظر أيضًا ثناؤه العطر في حملة الحديث في كتابه "تأويل مختلف الحديث" (ص١٥٩ وما بعدها)، وقال رحمه الله في هذه المسألة بعينها في (ص٨٠): «ولو أردنا -رحمك الله- أن ننتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام ونرغب فيهم لخرجنا من اجتماع إلى تشتت وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن اتفاق إلى اختلاف؛ لأن أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء الله وكان وما لم يشأ لا يكون وعلى أنه خالق الخير والشرِّ وعلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق وعلى أن الله -تعالى- يرى يوم القيامة وعلى تقديم الشيخين وعلى الإيمان بعذاب القبر لا يختلفون في هذه الأصول ومن فارقهم في شيء منها نابذوه وباغضوه وبدعوه وهجروه وإنما اختلفوا في اللفظ بالقرآن لغموض وقع في ذلك وكلهم مجمعون على أن القرآن بكل حال مقروءًا ومكتوبًا ومسموعًا ومحفوظًا غير مخلوق فهذا الإجماع».

الفجر.

فيعتقد من هذه الجهات أن القراءة هي القرآن غير مخلوق، ويفكر الآخر في القراءة فيجدها عملًا؛ لأن الثواب يقع على العمل لا على أن قرآنًا في الأرض، ويجد الناس يقولون: قرأت اليوم كذا وكذا سورة، وأقرأت في تقدير: فعلت، كما تقول: ضربت، وأكلت، وشربت.

وتجدهم يقولون: قراءة فلان أحسن من قراءة فلان، إنما يريدون أداء فلان للقرآن أحسن من أداء فلان، وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان، وإنما يراد في جميع هذا العمل؛ لأنه لا يكون قرآن أحسن من قرآن فيعتقد من هذه الجهة أن القراءة عمل، وأنها غير القرآن، وأن من قال: (القراءة غير مخلوقة) فقد قال: إن أعمال العباد غير مخلوقة.

فلما [وقعت][1] هذه الحيرة ونزلت هذه البلية فزع الناس إلى علمائهم وذوي رأيهم فاختلفوا عليهم.

فقال فريق منهم: القراءة فعل محض، وهي مخلوقة كسائر أفعال العباد، والقرآن غيرها، وشبهوها والقرآن: بالضرب والمضروب، والأكل والمأكول، واتبعهم على ذلك فريق.

وقالت فرقة: هي القرآن بعينه.

(١) في المطبوع: [وقت]، والصواب ما أثبتناه.

ومن قال: إن القراءة مخلوقة. فقد قال بخلق القرآن، واتبعهم قوم.

وقالت فرقة: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها، ولم يتكلفوها، ولا تعاطوها.

واختلفت عن أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل[١] الروايات، ورأينا كل فريق منهم يدعيه ويحكي عنه قولًا[٢]، فإذا كثر الاختلاف في شيء ووقع التهاتر في الشهادات به أرجأناه، مثل أن ألغيناه.

---

(١) أحمد بن حنبل هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، إمام المحدثين، و ناصر الدين، والمناضل عن السنة، الصابر في المحنة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة، نشأ يتيماً، وطلب الحديث وسنه لا تزيد على خمس عشرة سنة، وروى عن أكثر من مئتين وثمانين شيخاً في مسنده العظيم الذي أدرك مؤلفه خطورته فقال لابنه: «احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً»، لذلك ولغيره أيضاً قال قتيبة بن سعيد: «لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد لأحدثوا في الدين، أحمد إمام الدنيا». وقال ابن المديني: «أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة». وقال الذهبي: «كان أحمد عظيم الشأن، رأساً في الحديث، وفي الفقه، وفي التأله، أثنى عليه خلق من خصومه فما الظن بإخوانه وأقرانه؟!». توفي سنة ٢٤١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/١٧٨).

(٢) لم تختلف الروايات عن أحمد وإنما يرجع ذلك إلى دقة مذهبه رحمه الله فقد قال الإمام البخاري رحمه الله بعد ذكره لقول النفاة والمثبتة في هذه المسألة في خلق أفعال العباد (٢٢٨، ٢٢٩): «فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه، فليس بثابت كثير من أخبارهم، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله غير مخلوق، وما سواه مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام، والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ومن عجيب ما حكي عنه مما لا يشك أنه كذب عليه – إذ كان موفقًا بحمد الله رشيدًا– أنه قال: من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي والجهمي كافر، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع، وكل بدعة ضلالة[(١)].

---

(١) كذا قال المصنف –رحمه الله وغفر له– وما ادعاه من كون هذا الكلام كذب على الإمام أحمد خاطئ، كيف يكون والنصوص عن أحمد تنطق كلها إقراراً بهذا؟

قال إسحاق بن هانئ في «مسائله» (١٥٤/٢): «سمعت أبا عبد الله – يعني: أحمد – يقول: من زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي. وقال: أرأيت جبريل حيث جاء إلى النبي ﷺ فتلا عليه، تلاوة جبريل للنبي ﷺ أكان مخلوق؟ ما هو مخلوق.

وقال: وسألته عن الذي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟

قال: هذا كلام جهم، من كان يخاصم منهم فلا يُجالس، ولا يُكلم، والجهمي كافر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كنا في مجموع الفتاوى (٥٧٣/١٢): «وَالَّذِي اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ نُصُوصُ الْإِمَامِ أَحْمَد وَطَبَقَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جهمي وَمَنْ قَالَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ هَذَا هُوَ الصَّوَابُ عِنْدَ جَمَاهِيرِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْ لَا يُطْلَقَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا كَمَا عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَد وَجُمْهُورُ السَّلَفِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الْإِطْلَاقَيْنِ يَقْتَضِي إيهَامًا لِخَطَأٍ».

وقال أيضًا كما في «مجموع الفتاوى» (٤٢١/١٢): «وهذا محفوظ عن الإمام أحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وأبي مصعب الزهري، وأبي ثور، وأبي الوليد الجارودي، ومحمد بن بشار، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، ومحمد بن يحي بن أبي عمر العدني، ومحمد بن يحي الذهلي، ومحمد بن أسلم الطوسي، وعدد كثير لا يحصيهم إلا الله، من أئمة الإسلام».

ونصوص أحمد في الباب كثيرة جدًا، انظر: «صريح السنة» للطبري (٣١)، و«مسائل ابن هانئ» (١٥٢/٢)، و«مسائل أبي داود» (٢٧١–و٢٦٤–و٢٦٥)، و«الإبانة» لابن بطة (١٣٥/٢–١٤٥ ط دار الكتب العلمية. و«الحجة في بيان المحجة» (٢٤٠/١–٤٢٠) و«السنة» للخلال (٦٣/٧) =

فكيف يتوهم على أبي عبدالله مثل هذا القول؟ وأنت تعلم الحق لا يخلوا أن يكون في أحد الأمرين، وإذا لم يخلو من ذلك صار الحق في كفر أو ضلال، ولم أر في هذه الفرق أقل عذرًا ممن أمر بالسكوت والتجاهل بعد هذه الفتنة.

وإنما كان يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمر، ووقوع الشحناء، وليس في غرائز الناس احتمال إمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار، وظهر هذا الظهور، ولو أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهلاؤهم، ولو أمسكت الألسنة ما أمسكت القلوب.

وقد كان لهؤلاء أسوة فيمن تقدمهم، من العلماء حين تكلم جهم وأبوحنيفة في القرآن، ولم يكن دار بين الناس قبل ذلك، ولا عُرف، ولا كان مما تكلم الناس فيه، فلما فزع الناس إلى علمائهم لم يقولوا: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها، ولم يتكلفوها، ولكنهم أزالوا الشك باليقين، وجلوا الحيرة، وكشفوا الغمة، وأجمع رأيهم على أنه غير مخلوق فأفتوهم بذلك، وأدلوا بالحجج والبراهين وناظروا وقاسوا، واستنبطوا الشواهد من كتاب الله ﷻ كقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[1]،

= وما بعدها).

(١) يشير المصنف رحمه الله إلى ما ذكره الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية (ص٢٢٣-٢٢٧) حيث قال: «فالجواب للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن، هو الله أو غير الله؟ قيل له: وإن الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن إن القرآن أنا، ولم يقل إن القرآن غيري، وقال: هو كلامي، فسميناه باسم سماه الله به، فقلنا: هو كلام الله، فمن سمى القرآن بما سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين، وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه، ولم يسمه قولًا، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلًا في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق فقال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فأمره هو قوله تبارك الله =

= رب العالمين أن يكون قوله خلقًا، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ ثم قال في القرآن: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ﴾، وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾، يقول: لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق، فالله يخلق ويأمر، وقوله غير خلقه، وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْۚ﴾، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، يقول: قد جاء قولنا في أمر القرآن.

باب ما فضل الله بين قوله وبين خلقه

وذلك أن الله جل ثناؤه إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسماءٍ فهو مرسل غير منفصل وإذا سمى شيئين مختلفين لا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما من ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامي وهو مرسل ولم يقل إن له أبًا وشيخًا وكبيرًا، وقال:﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ﴾، ثم قال: ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ فهذا اسم شيء واحد وهو مرسل فلما ذكر شيئين مختلفين فصل بينهما، فذلك قوله ثيباتٍ ثم قال: ﴿وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ فلما كانت البكر غير الثيب لم يدعه مرسلًا حتى فصل بينهما، فذلك قوله: ﴿وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ [فاطر: ١٩]، ثم قال: ﴿وَٱلْبَصِيرُۚ﴾ فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما، ثم قال: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾، فلما كان كل واحد من هذا الشيء غير الشيء الآخر فصل بينهما، ثم قال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾، فهذا كله اسم شيء واحد فهو مرسل ليس بمنفصل، وكذلك إذا قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُۗ﴾ لأن الخلق غير الأمر فهو منفصل.

باب بيان ما أبطل الله ﷻ أن يكون القرآن إلا وحيًا وليس بمخلوق

قال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ

وقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾[(١)].

وأما قولهم: هذه بدعة، لم يتكلم الناس فيها فلا تتكلفوها؛ فإنما يفزع الناس إلى العالم في البدعة، لا فيما جرت به السنة، وتكلم فيه الأوائل، ولو كان هذا مما تكلم

يُوحَىٰ ۝٤﴾ قال: وذلك أن قريشًا قالوا: إن القرآن شعر، وقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٥﴾، وقالوا: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾، وقالوا: تقوله محمد من تلقاء نفسه، وقالوا: تعلمه من غيره، فأقسم الله بالنجم ﴿إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ يعني القرآن إذا نزل فقال ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ يعني محمدًا ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾، يقول: إن محمدا لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه، فقال: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ يقول: ما هو، يعني القرآن ﴿إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ فأبطل الله أن يكون القرآن شيئًا غير الوحي، لقوله: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ يقول: ما هو ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾، ثم قال: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ يعني علم جبريل محمدًا وهو ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ فسمى الله القرآن وحيًا، ولم يسمه خلقًا.»

(١) قال الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية (ص٢٦٥-٢٦٧):

«باب بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى:

فقلنا لهم: لِمَ أنكرتم ذلك؟ فقالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، إنما كوَّن شيئًا فعبَّر عن الله، وخلق صوتًا فأسمع. وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين. **فقلنا لهم**: فهل يجوز لمكون أو غير الله، أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، أو يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾؟ فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهمي أن الله كوَّن شيئًا، كان يقول ذلك المكوَّن: يا موسى [إني لست] أنا الله رب العالمين، ولا يجوز له أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾، فهذا منصوص القرآن».

الناس فيه لاستغنى عنهم.

الكلام لا يعارض بالسكوت، والشك: لا يُداوى بالوقوف، والبدعة: لا تدفع إلا بالسنة، وإنما يقوى الباطل أن تنصره[١] وتمسك عنه.

وإن كان الوقوف في اللفظ بالقرآن[٢] حتى لا يقال فيه: مخلوق أو غير مخلوق وهو

---

(١) وقع في المطبوع: [تبصره].

(٢) **الواقفة**: هم الذين يقولون القرآن كلام الله، ولا يقولون مخلوق ولا ليس مخلوقا، بل يتوقفون في ذلك شكًا وحيرة.

وهؤلاء ظهروا بعد ظهور القول بخلق القرآن، وهم طائفة من الجهمية كما روى صالح بن أحمد بن حنبل في سيرة الإمام أحمد (ص٧٢) قال: سمعت أبي يقول: «افترقت الجهمية على ثلاث فرق:

- **الفرقة الأولى**: قالوا: القرآن مخلوق.
- **الفرقة الثانية**: قالوا: كلام الله وسكتوا.
- **الفرقة الثالثة**: قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق».اهـ وكذا في السنة للخلال (٥/ ١٢٥).

والذين وقعوا في الوقف في القرآن صنفان:

- **الصنف الأول**: بعض رواة الحديث الذين عرفوا بقلة البصر بمذاهب الجهمية، والشك فيه، وهذه أغلوطة وقعت من مسامعهم، ولم يعرفوا تأويلها، وسببها قلة العلم. انظر: الرد على الجهمية للدارمي (ص٩٢).
- **الصنف الثاني**: طائفة هم من القائلين بخلق القرآن، لكنهم استخدموا ذلك تقية، وهم يبطنون القول بخلق القرآن.

وقد قال بتكفيرهم أحمد بن صالح المصري كما في مسائل أبي داود لأحمد (١٧٤٨)، وكذا كفرهم الإمام أحمد كما في مناقب الإمام أحمد لا بن الجوزي (ص١٥٧)، بل إن الواقفة =

الصواب، فما حجتنا على الواقفة في القرآن، ولم جعلناهم شُكَّاكًا، وجعلناهم ضلالًا، وأكفرهم بعض أهل السنة، وأكفر من شك في كفرهم، هل الأمر في ذلك وفي هذا إلا واحد؟!

= يعتبرون شرًا من الجهمية، كما قال أحمد بن حنبل كما في السنة لولده عبد الله برقم (٢٢٥)، وقتيبة بن سعيد كما في مسائل أبي داود برقم (١٧٤٦)، ومحمد بن مقاتل كما في مسائل أبي داود (١٧٥٠) وغيرهم.

وقال الآجري رحمه الله في الشريعة (٥٢٧/١): «وأما الذين قالوا القرآن كلام الله ووقفوا فيه، وقالوا لا نقول غير مخلوق، فهؤلاء عند كثير من العلماء ممن رد على من قال بخلق القرآن قالوا هؤلاء الواقفة، مثل من قال: القرآن مخلوق، وأشر؛ لأنهم شكوا في دينهم نعوذ بالله ممن يشك في كلام الرب أنه غير مخلوق». وراجع: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٢٣/١ – ٣٢٩).

فإن قيل: إن الثوري[١]، وابن عيينة[٢]، وابن المبارك[٣]، وأشباههم لم يقفوا.

قلنا: لكل زمان رجال فأنت ثوري زماننا وابن عُيَيْنَتِنَا، فقل كما قالوا، لنسمع ولنتبع على أن أولئك قالوا وبينوا من أين قالوا؟ ونحن راضون منك بأن تقول، ومعقول

---

(١) هو الإمام الحافظ، سيد العلماء العاملين في زمانه: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع أبوعبدالله الثوري، المجتهد ولد سنة (٩٧)، وطلب العلم وهو حدث، باعتناء والده المحدث الثقة. قال الذهبي: يقال عدد شيوخه ستمائة شيخ كبارهم الذين حدثوا عن أبي هريرة. اهـ وأما الرواة عنه فذكر ابن الجوزي أنهم أكثر من عشرين ألف. قال الذهبي: هذا مدفوع ممنوع، فإن بلغوا ألفًا فبالجهد، وما علمت أحدًا من الحفاظ روى عنه عدد أكثر من مالك، بلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفًا وأربعمائة. توفي سنة (١٦١). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٩/٧).

(٢) هو الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام أبو محمد سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي ثـم الـمكـي، مولده بالكوفة في سنة سبع ومئة وطلب الحديث وهو حدث بل غلام ولقي الكبار وحمل عنهم علما جما وأتقن وجود وجمع وصنف وعمر دهرا وازدحم الخلق عليه وانتهى إليه علو الإسناد توفي (١٩٨)، وقد كان له من الأخوة: عمران، وإبراهيم، وآدم، ومحمد كلهم رووا الحديث، وكانت وفاة سفيان سنة (١٢٨)، عمّر إحدى وستين سنة.

(٣) هو الإمام العالم، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولاهم، التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارزمية، مولده: في سنة ثمان عشرة ومائة. فطلب العلم وهو ابن عشرين سنة. فأقدم شيخ لقيه: هو الربيع بن أنس الخراساني، تحيل ودخل إليه إلى السجن، فسمع منه نحوا من أربعين حديثا، ثم ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومائة، وأخذ عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال والتطواف، وإلى أن مات في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلى الحج. وتوفي في شهر رمضان سنة (١٨١).

أن نقول لك من أين قلت؟

وكل من ادعى شيئًا، أو انتحل نحلة، فهو يزعم أن الحق فيما ادعى، وفيما انتحل، خلا الواقف الشاك؛ فإنه يقر على نفسه بالخطإ؛ لأنه يعلم أن الحق في أحد الأمرين اللذين وقف بينهما، وإنه ليس على واحد منهما.

وقد بلي بالفريقين المستبصر المسترشد، وبإعناتهم[١] ومحنتهم، وإغلاظهم لمن خالفهم، وإكفاره وإكفار من شك في كفره، فإنه ربما ورد الشيخ المِصَرَ فقعد للحديث وهو من الأدب غَفِل، ومن التمييز ليس فيه من معاني العلم إلا تقادم سِنِّهِ، وأنه قد سمع ابن عيينة، وأبا معاوية، ويزيد بن هارون وأشباههم.

فيبدءونه قبل الكتاب بالمحنة، فالويل له إن تلعثم، أو تمكث، أو سعل، أو تنحنح قبل أن يعطيهم ما يريدون؛ فيحمله الخوف من قدحهم فيه، وإسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا، فيتكلم بغير علم، ويقول بغير فهم، فيتباعد من الله في المجلس الذي أمل أن يتقرب فيه منه، وإن كان ممن يعقد على مخالفتهم سام نفسه إظهار ما يحبون، ليكتبوا عنه.

وإن رأوا حدثًا مسترشدًا أو كهلًا متعلمًا سألوه، فإن قال لهم: أنا أطلب حقيقة هذا الأمر، وأسأل عنه، ولم يصح لي منه شيء بَعْدُ وإنما صدقهم عن نفسه، واعتذر بعذره، والله يعلم صدقه، وهم يعلمون أنه لم يكلفه إذ لم يعلم إلا أن يسأل ويبحث ليعلم، كذبوه وآذوه وقالوا: خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه.

أفترى لو كان ما هم عليه من اعتقادهم هذا الأمر أصل التوحيد الذي لا يجوز

(١) في المطبوع: [وبإعفائهم].

للناس أن يجهلوه، وقد سمعوه من رسول الله ﷺ مشافهة، كان يجب أن يبلغ فيه هذه الغاية، فكيف وهم لو سئلوا من أين قلتم؟ ما رجعوا في ذلك إلى وثيقة من حديث يأثرونه، أو قول إمام من العلماء يحسن تقليد مثله، أو قياس يطردونه؛ وإنما هو رَأْيٌ رَوَاهُ، وقد يخطئ الراوي وظن ظنوه، وأجهل الناس من جعل ظنه بالله دينًا.

وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن:

أن القرآن لفظ واحد يشتمل على معنيين:

أحدهما: عمل.

والآخر: قرآن.

إلَّا أنَّ العمل لا يتميز من القرآن كما يتميز الأكل من المأكول، فيكون المأكول المضوغ والمبلوع، ويكون الأكل المضغ والبلع، والقرآن لا يقوم بنفسه وحده كما يقوم المأكول بنفسه وحده وإنما يقوم بواحدة من أربع: كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع.

فهو بالعمل في الكتابة قائم والعمل خطٌّ وهو مخلوقٌ، والمكتوب قرآنٌ وهو غير مخلوقٍ، وهو بالعمل في القراءة قائمٌ، والعمل تحريكُ اللسانِ، واللهواتِ بالقرآن، وهو مخلوقٌ.

والمقروء قرآنٌ وهو غير مخلوقٍ وهو بحفظ القلب قائمٌ في القلب، والحفظ عملٌ وهو مخلوقٌ، والمحفوظ قرآنٌ وهو غير مخلوقٍ وهو بالاستماع قائم في السمع، والاستماع عمل وهو مخلوق، والمسموع قرآن غير مخلوق، ومثل هذا وإن كان لا مثل للقرآن، إلا أنه تقريب منا لما ذكرناه إلى فهمك.

مثل: لون الإنسان يقوم بجسمه، ولا نقدر أن نقر اللون في وهمك، حتى يكون متميزًا من الجسم. وكذلك القدرة، لا نقدر أن نفردها عن الجسم. وكذلك الاستطاعة والحركة، كل واحدة منهما لا تفرد، وإنما تقوم بالجسم والجارحة، ولا تنفرد عنهما.

كذلك القرآن يقوم بتلك الخلال الأربع التي ذكرناها، ولا يستطيع أحد أن يتوهمه منفردًا عنها.

فإذا قلت: قرأت، أو تلوت، أو لفظت، دل قولك على فعل وقرآن كل واحد منهما قائم بالآخر غير متميز منه؛ لأن الصوت وتحريك اللسان لا يكون قراءة حتى يحمله الصوت واللسان، وليس سائر الأفعال والمفعولات هكذا.

ألا ترى أنك تقول: شتمت، وسببت، وقذفت؟ فيدل قولك على فعل، ومشتوم، ومسبوب، ومقذوف، إلا أن كل واحد قائم بنفسه متميز من الآخر.

فلهذا قلنا: إن القراءة شيئان، وكذلك التلاوة، واللفظ، وقلنا: الشتم شيء واحد.

فإن قال قائل: ما تقول في القراءة؟

قلت: قرآنٌ متصلٌ بعملٍ.

فإن قال: أمخلوق هو أم غير مخلوق؟

قلت له: سألت عن كلمة واحدة تحتها معنيان:

أحدهما: مخلوق: وهو العمل.

والآخر: غير مخلوق: وهو القرآن.

فإن قال: فما شبه هذا؟

قلنا: رجلان نظرا إلى جمرة حمراء.

فقال أحدهما: هي جسم.

وقال الآخر: هي نار.

وتجادلا في ذلك، وشَرَقَ الأمر بينهما حتى حلف كل واحد بالطلاق على ما قالا. ثم صارا إلى الفقيه فقالا: إنا اختلفنا في جمرة. فقال أحدنا: هي جسم. وقال الآخر: هي نار. وتمارينا في ذلك، حتى حلف كل واحد منا بالطلاق على ما ادَّعَى؛ فقال الفقيه لكل واحد منهما: صدقت، ولكن ذكرت شيئًا ذا معنيين، بأحد معنييه.

فالجمرة مثل للقراءة؛ لأنها اسم واحد يجمع معنيين: الجسم. والنار، كما أن القراءة تجمع معنيين العمل والقرآن، ولو كان أحد المختلفين قال: هي جسم ونار قد جمع لها الصنفين، كما أن من قال: القراءة عمل وقرآن، قد جمع لها الصنفين.

وكذلك لو اختلف اثنان في نجم **فقال أحدهما**: هو نار، **وقال الآخر**: هو نور؛ كانا جميعًا صادقين؛ **لأن النجم اسم ذو معنيين**: نار، ونور، وكذلك لو اختلف اثنان في أكل إنسان؛ **فقال أحدهما**: هو مضغ. **وقال الآخر**: هو بلع، كانا جميعًا صادقين؛ **لأن أكل الإنسان اسم ذو معنيين**: مضغ وبلع، وكذلك لو اختلفا في القتل، **فقال أحدهما**: هو جرح، **وقال الآخر**: هو موت، لأن القتل: اسم ذو معنيين: عمل، وموت.

وقد بَقِيَت بعد ما بينت لطيفة قد يغلط في مثلها:

وهي: أن السامع إذا سمع قائلًا يقول: قراءتي للقرآن ولفظي بالقرآن –قراءتي القرآن مفردة عن القرآن، واللفظ منفرد عن القرآن، توهم أن كل واحد منهما غير ممازج للقرآن، وليس كذلك، وإنما قوله للقرآن بالقرآن تمييز للقرآن من غيره؛ لأن

القارئ قد يقرأ غير القرآن، وهذا من أغمض ما مر وأدقه، فتأمله وتدبره حتى تفهمه وسأزيده إيضاحًا:

كأن رجلًا يسمى محمدًا قرأ فسمعه رجل يقال له: زيد، فقال لأخ له يقال له: عبدالله: ما أحسن قراءة محمد!

فقال عبدالله: ماذا قرأ؟ فيقول زيد: القرآن.

وكذلك لو قال: ما أحسن لفظ محمد!

فقال عبدالله: وبماذا لفظ؟ فيقول له زيد: بالقرآن.

فالقرآن هاهنا إنما هو تمييز وتبيين، وكل واحد من القرآن واللفظ يجمع معنيين، عملًا وقرآنًا.

وذهب قوم من منتحلي السنة إلى أن الإيمان غير مخلوق؛ خوفًا من أن يلزمهم أن يقولوا: (لا إله إلا الله) مخلوقة، إذ كانت رأس الإيمان، فركبوها شنعًا وجعلوا أفاعيل العباد غير مخلوقة، صفات لله ﷻ، فيا سبحان الله ما أعجب هذا، وأعجب قائليه!

ولقد أَلِفَ الناس غير مخلوق وأَنِسُوا به، حتى أنه ليخيل إليَّ أن رجلًا لو ادعى أن العرش غير مخلوق، وأن الكرسي غير مخلوق، لوجد على ذلك أشياعًا ينتحلون السنة، فماذا جَرَّ، جَهْمٌ -لا رحمه الله- على متبعيه بنحلته، وعلى مخالفيه ببغضته؟!

وقد بلغني أن قومًا يذهبون إلى أن روح الإنسان غير مخلوقة[1]: وأنهم يستدلون

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح (ص١٨٣-١٨٧ بتحقيقي): «**هَلِ الرُّوحُ قَدِيمَةٌ أَوْ مُحْدَثَةٌ** =

= مَخْلُوقَةٌ وَهِيَ هَلِ الرُّوحُ قَدِيمَةٌ أَوْ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ؟
وَإِذَا كَانَتْ مُحْدَثَةً مَخْلُوقَةً، وهِيَ مِنْ أَمْرِ الله، فَكَيْفَ يَكُونُ أَمْرُ الله مُحْدَثًا مَخْلُوقًا؟ وقَدْ أَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ نَفَخَ فِي آدَمَ مِنْ رُوحِهِ، فَهذِهِ الْإِضَافَةُ إِلَيْهِ هَلْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا قَدِيمَةٌ أَمْ لَا؟ ومَا حَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ؟ فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ آدَمَ أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدِهِ، ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَأَضَافَ الْيَدَ، والرُّوحَ إِلَيْهِ إِضَافَةً واحِدَةً.

فهذه مسألة زلَّ فيها عالـمٌ، وضلَّ فيها طوائفُ من بني آدمَ، وهدى الله أتباع رسوله ﷺ فيها للحق المبين، والصواب المستبين، فأجمعت الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- على أنها محدثةٌ مخلوقةٌ مصنوعةٌ مربوبةٌ مدبرةٌ.

هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل -صلوات الله، وسلامه عليهم- كما يعلم بالاضطرار من دينهم أنَّ العالـمَ حادثٌ، وأن معادَ الأبدانَ، واقعٌ، وأن الله، وحده الخالقُ، وكلُّ ما سواه مخلوقٌ لهُ، وقد انطوى عصر الصحابة، والتابعين، وتابعيهم -وهم القرون الفضيلة- على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها، وأنها مخلوقةٌ، حتى نبغتْ نابغةٌ ممَّنْ قَصُرَ فهمه في الكتاب، والسنة، فزعم أنها قديمةٌ غير مخلوقةٌ، واحتج بأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوقٍ، وبأن الله -تعالى- أضافها إليه كما أضاف إليه علمَهُ، وكتابَهُ، وقدرتَهُ، وسمعَهُ، وبصرَهُ، ويدَهُ.

وتوقف آخرون فقالوا: لا نقول مخلوقة، ولا غير مخلوقة. وسُئِلَ عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده فقال: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ سَائِلًا سَأَلَنِي عَنِ الرُّوحِ الَّتِي جَعَلَهَا الله -سُبْحَانَهُ- قَوَامُ نَفْسِ الْخَلْقِ، وأَبْدَانِهِمْ، وذَكَرَ أَنَّ أَقْوامًا تَكَلَّمُوا فِي الرُّوحِ، وزَعَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وخَصَّ بَعْضُهُمْ مِنْهَا أَرْوَاحَ الْقُدُسِ، وأَنَّهَا مِنْ ذَاتِ الله تعالى قَالَ: وأَنَا أَذْكُرُ اخْتِلَافَ أَقَاوِيلَ مُتَقَدِّمِيهِمْ، وأُبَيِّنُ مَا يُخَالِفُ أَقَاوِيلَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ، والْأَثَرَ، وأَقَاوِيلَ الصَّحَابَةِ، والتَّابِعِينَ، وأَهْلِ الْعِلْمِ، وأَذْكُرُ بَعْدَ ذَلِكَ وجُوهَ الرُّوحِ مِنَ الْكِتَابِ، والْأَثَرِ، وأُوَضِّحُ خَطَأَ الْـمُتَكَلِّمِ فِي الرُّوحِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وأَنَّ كَلَامَهُمْ يُوَافِقُ قَوْلَ جَهْمٍ، وأَصْحَابِهِ، فَنَقُولُ، وبِاللهِ التَّوْفِيقِ: **إِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي مَعْرِفَةِ الْأَرْوَاحِ، ومَحَلِّهَا مِنَ النَّفْسِ**:

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ، وهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ، والْأَثَرِ، واحْتَجُّوا =

= بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»، والْجُنُودُ الْـمُجَنَّدَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَخْلُوقَةً.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ مِنْ أَمْرِ الله، أَخْفَى الله حَقِيقَتِهَا، وعِلْمِهَا عَنِ الْخَلْقِ، واحْتَجُّوا بِقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَرْوَاحُ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ الله –تَعَالَى–، وحَيَاةٌ مِنْ حَيَاتِهِ، واحْتَجَّتْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الله خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، وأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ»، ثُمَّ ذَكَرَ الْخِلَافَ فِي الْأَرْوَاحِ هَلْ تَمُوتُ أَمْ لَا؟ وهَلْ تُعَذَّبُ مَعَ الْأَجْسَادِ فِي الْبَرْزَخِ، وفِي مُسْتَقَرِّهَا بَعْدَ الْـمَوْتِ؟ وهَلْ هِيَ النَّفْسُ أَوْ غَيْرُهَا؟

وقال محمد بن نصر المروزى في كتابه: تَأَوَّلَ صِنْفٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ، وصِنْفٌ مِنْ الرَّوَافِضِ فِي رُوحِ آدَمَ مَا تَأَوَّلَتْهُ النَّصَارَى فِي رُوحِ عِيسَى ﵇، ومَا تَأَوَّلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَنَّ الرُّوحَ انْفَصَلَ مِنْ ذَاتِ الله فَصَارَ فِي الْـمُؤْمِنِ، فَعَبَدَ صِنْفٌ مِنَ النَّصَارَى عِيسَى، ومَرْيَمَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ عِيسَى عِنْدَهُمْ رُوحٌ مِنَ الله صَارَ فِي مَرْيَمَ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ عِنْدَهُمْ.

وقالَ صنف من الزَّنادِقَة وصنف من الروافض: أن روح آدم مثل ذَلِك أنه غير مَخْلُوق وتأولوا قَوْله تَعالى ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وقَوله تَعالى ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾.

فزعموا إن روح آدم لَيْسَ بمخلوق كَما تَأول من قالَ إن النُّور من الرب غير مَخْلُوق قالُوا ثمَّ صارُوا بعد آدم فِي الوَصِيّ بعده ثمَّ هُوَ فِي كل نَبِي ووصى إلى أن صار فِي على ثمَّ فِي الحسن والحُسَيْن ثمَّ فِي كل وصّى وإمام فِيهِ يعلم الإمام كل شَيْء ولا يحْتاج أن يتَعَلَّم من أحد.

ولا خلاف بين المسلمين أنَّ الأرواحَ التي في آدم، وبنيه، وعيسى، ومن سواه من بنى آدم كلها مخلوقة لله، خلقها، وأنشأها، وكوّنها، واخترعها، ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه قال –تعالى–: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: رُوحُ الْآدَمِيِّ مَخْلُوقَةٌ مُبْدَعَةٌ بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، =

= وأَئِمَّتِهَا، وسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وقَدْ حَكَى إِجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهَا مَخْلُوقَة غَيْرُ، واحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْـمُسْلِمِينَ مِثْل: مُحَمَّدِ ابْنِ نَصْرِ الْـمَرُوزِي الْإِمَامِ الْـمَشْهُورِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالْإِجْمَاعِ، ولَا اخْتِلَافَ، وكَذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ فِي كِتَابِ «اللفظ»[١] لـمَّا تكلَّم على الأروح قال: النَّسم: الأرواح. قال: وأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ الله تَعَالَى هُوَ فَالِقُ الْحَبَّةِ، وبَارِئُ النَّسَمَةِ أَيْ خَالِقُ الرُّوحِ.

وقال أبو إسحاق ابن شاقلا فيما أجاب به في هذه المسألة: سَأَلْتَ -رَحِمَكَ اللهُ- عَنِ الرُّوحِ مَخْلُوقَةٌ هِيَ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؟ قَالَ: وهَذَا مِمَّا لَا يَشُكُّ فِيهِ مَنْ، وفِّقَ لِلصَّوَابِ أَنَّ الرُّوحَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْـمَخْلُوقَةِ، وقَدْ تَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْـمَسْأَلَةِ طَوَائِفُ مِنْ أَكَابِرَ الْعُلَمَاءِ، والْـمَشَايِخِ، ورَدُّوا عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ.

وصنَّف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتابًا كبيرًا، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي، وغيره، والشيخ أبو سعيد الخَرَّاز، وأبو يعقوب النَّهْر جُوري، والقاضي أبو يعلى، وقد نصَّ على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى ابن مريم فكيف بروح غيره.

كما ذكره الإمام أحمد فيما كتبه في مجلسه في «الرد على الزنادقة والجهمية»: ثم أن الجهمي ادّعى أمرًا، فقال: أَنَا أَجِدُ آيَةً فِي كِتَابِ الله مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أن القرآن مخلوق قَول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وعِيسى مَخْلُوق.

قلنا له: إِنَّ اللهَ تَعَالَى مَنَعَكَ الْفَهْمَ لِلْقُرْآنِ، إِنَّ عِيسَى تَجْرِي عَلَيْهِ أَلْفَاظٌ لَا تَجْرِي عَلَى الْقُرْآنِ، لِأَنَّا نُسَمِّيهِ: مَوْلُودًا وَطِفْلًا وَصَبِيًّا وَغُلَامًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَهُوَ مُخَاطَبٌ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْي، يَجْرِي عَلَيْهِ الْخِطَابُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، ثُمَّ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ (وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيم، فَلَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَقُولَ فِي الْقُرْآنِ مَا نَقُولُ فِي عِيسَى)، فَهَلْ سَمِعْتُمْ اللهَ يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا يَقُولُ فِي عِيسَى؟ وَلَكِنَّ الْـمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فَالْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ حِينَ قَالَ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ عِيسَى بِكُنْ =

= وَلَيْسَ عِيسَى هُوَ كُنْ، وَلَكِنْ كَانَ بِكُنْ، فَكُنْ مِنَ اللهِ قَوْلٌ، وَلَيْسَ كُنْ مَخْلُوقًا، وَكَذَبَتِ النَّصَارَى وَالْجَهْمِيَّةُ عَلَى اللهِ فِي أَمْرِ عِيسَى، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ قَالُوا: رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ مِنْ ذَاتِهِ، كَمَا يُقَالُ: هَذِهِ الْخِرْقَةُ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ.

قُلْنَا نحن: أَنَّ عِيسَى بِالْكَلِمَةِ كَانَ، وَلَيْسَ عِيسَى هُوَ الْكَلِمَة، وَإِنَّمَا الْكَلِمَةُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿كُن﴾.. قُلْنَا نَحْنُ أَنَّ عِيسَى بِالْكَلِمَةِ كَانَ، وَلَيْسَ عِيسَى هُوَ الْكَلِمَة، وَإِنَّمَا الْكَلِمَةُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿كُن﴾.

وقوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ يقُول من أمره كانَ الرّوح فِيهِ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾، **يَقُول**: من أمره، وَتَفْسِيرُ رُوحُ اللهِ إِنَّمَا مَعْنَاهَا بِكَلِمَةِ اللهِ خَلَقَهَا، كَمَا يُقَالُ: عَبْد اللهِ، وَسَمَاءُ اللهِ، وَأَرْضُ اللهِ.

فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّ رُوحَ الْمَسِيحِ مَخْلُوقَةٌ، فَكَيْفَ بِسَائِرِ الْأَرْوَاحِ؟

وَقَدْ أَضَافَ اللهُ إِلَيْهِ الرُّوحَ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَى مَرْيَمَ وَهُوَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَلَمْ يَدُلّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَدِيمٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾﴾ فَهَذا الرّوح هُوَ روح الله وهُوَ عَبده ورَسُوله.

وَالذَّي يَدُلُّ عَلَى خَلْقِهَا وُجُوهٌ:

الوجه الأول: قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، فهذا اللفظُ عامٌّ لا تخصيصَ فيهِ بوجهٍ ما، ولا يدخلُ في ذلك صفاته، فإنها داخلة في مسمى باسمه، فالله هو الإلهُ الموصوفُ بصفاتِ الكمالِ، فَعِلْمُهُ، وَقُدْرَتُهُ، وَحَيَاتُهُ، وَإِرَادَتُهُ، وَسَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ، وَسَائِرُ صِفَاتِهِ داخلٌ في مسمى اسمه ليس داخلًا في الأشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها، فهو – سبحانه – بذاته وصفاته الخالقُ وما سواه مخلوقٌ.

ومَعْلُوم قطعا أن الرّوح لَيست هِيَ الله ولَا صفة من صِفاته وإنّما هِيَ مَصْنُوع من مصنوعاته فوقوع الخلق عَلَيْها كوقوعه على المَلائِكَة والجِنّ والإنْس. =

على ذلك بقول الله في آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وهذا هو: النصرانية، والقول: باللاهوت والناسوت[١]، قال النابغة الجعدي:

مِنْ نُطْفَةٍ قَدّرُهَا مِقْدَرهَا　　　يَخْلُقُ مِنْهَا الْإِنْسَانَ وَالنَّسَمَ

والنسم: الأرواح، وأجمع الناس أن الله فالق الحبةِ، وبارئ النسمة، أي: خالق الروح.

والإيمان مخلوق؛ لأنه لفظ باللسان وعقد بالقلب، واستعمال للجوارِح، وكل هذه

= **الوجه الثاني**: قوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾، وهذا الخطاب لروحه وبدنه ليس لبدنه فقط، فإن البدن وحده لا يَفهم، ولا يُخاطب، ولا يَعقل، وإنما الذي يَفهم ويَعقل ويُخاطب هو الروح.

الوَجْه الثّالِث: قَوْله تَعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾

الوَجْه الرابع: قَوْله تَعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ وهَذا الإخْبار إنَّما يتَناوَل أرْواحنا وأجسادنا كَما يَقُوله الجُمْهُور واما أن يكون واقعا على الأرْواح قبل خلق الأجساد كَما يَقُوله من يزْعم ذَلِك وعَلى التَّقْدِير فَهُوَ صَرِيح فِي خلق الأرْواح

الوَجْه الخامس: النُّصُوص الدّالَّة على أنه سُبْحانَهُ رَبنا ورب آبائِنا الأوَّلين ورب كل شَيْء وهَذِه الربوبية شامِلَة لأرواحنا وأبداننا فالأرواح مربوبة لَهُ مَمْلُوكَة كَما أن الأجْسام كَذَلِك وكل مربوب مَمْلُوك فَهُوَ مَخْلُوق».اهـ

(١) أي: اتحد شيء من الإله، بشيء من الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في جامع الرسائل (٤٢/١): «النصارى يقولون: إن المسيح هو الناسوت، واللاهوت هو (الكلمة) هو جوهر (الابن) وهم يقولون: الاتحاد: اتحاد اللاهوت والناسوت، متجدد حين خلق بدن المسيح». وانظر أيضًا جامع المسائل (٢٤٣/١).

أفعال للعباد، ثم كل هذه غرائز ركبها الله في العباد، وسماها الرسول ﷺ: إيمانًا.

قال أبو محمد: وقد كان بعض الجهمية سألني مرة عن تكلم الناس في الحرف والحرفين، ولذلك أصل في الكتاب، أمخلوق هو أم غير مخلوق؟!

فقلت: هو مخلوق ما لم يقصد به إلى تلاوة القرآن.

فقال لي: فإذًا القرآن يصير كلامًا بنيتك، والكلام يصير قرآنًا بنيتك.

قلت له: إن القول القليل قد يتغير بالنية والقصد، وأنا أقر لك بذلك.

ثم قلت له: أما تعلم أن (لا إله إلا الله) رأس الإيمان، وكلمة التوحيد؟!

قال: بلىٰ.

قلت: فما تقول في ملحد قال: (لا إله) يريد النفي، ماذا تكون كلمته؟

فقال: كفرًا.

قلت: فإذًا شطر كلمة التوحيد قد صار كفرًا بالنية.

ثم قلت له: ما تقول في مؤمن أراد أن يقول: (لا إله إلا الله) فقال: (لا إله)، ثم انقطع نفسه وسهى ما كان قوله؟

قال: إيمانًا بحاله.

قلت له: فإذًا ما كان هناك كفرًا بالنية قد صار هاهنا إيمانًا بالنية.

وقلت له: ما تقول أنت في القرآن؟

قال: مخلوق.

قلت: وفي أفعال العباد؟

قال: غير مخلوق.

قلت: ما تقول في قول الله: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤﴾ ما هو؟

قال: آية.

قلت: فهي عندك أمخلوقة أم غير مخلوقة؟

قال: مخلوقة.

قلت: فإن دعبلًا بن علي الشاعر جعلها بيتًا في شعر له طويل فقال:

وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ... وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَا

فما هي في شعر دعبل؟

[قال](١): وقول لدعبل؟

قلت: مخلوق أم غير مخلوق؟

قال: بل غير مخلوق.

قلت: فأراه صار فعلًا بالنية، وخلقًا بالنية، فما الذي أنكرته من قولنا هذا؟

---

(١) ليس في المطبوع.

هذا منتهى [القول في: **الاختلاف في اللفظ في القرآن**][1] وهو بلاغ لمن خضع للحق، وتلقاه بقلب سليم، ومن استكبر وجمحت به الحمية، فيستغني اللهُ الحقُّ عنه والله غني حميد. [آخر كتاب **الاختلاف في اللفظ**][2]

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَعَوْنِهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ أَجْمَعِينَ.

وَقَدْ وَافَقَ الْفَرَاغُ مِنْهُ نَهَارَ الْجُمْعَةِ رَابِعَ شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعُمِائَةَ.

(١) ليس في المطبوع.
(٢) ليس في المطبوع.